أ.د. عبد الكريم بكار

التربية الرشيدة (1)

مسار الأسرة

((مبادئ لتوجيه الأسرة))

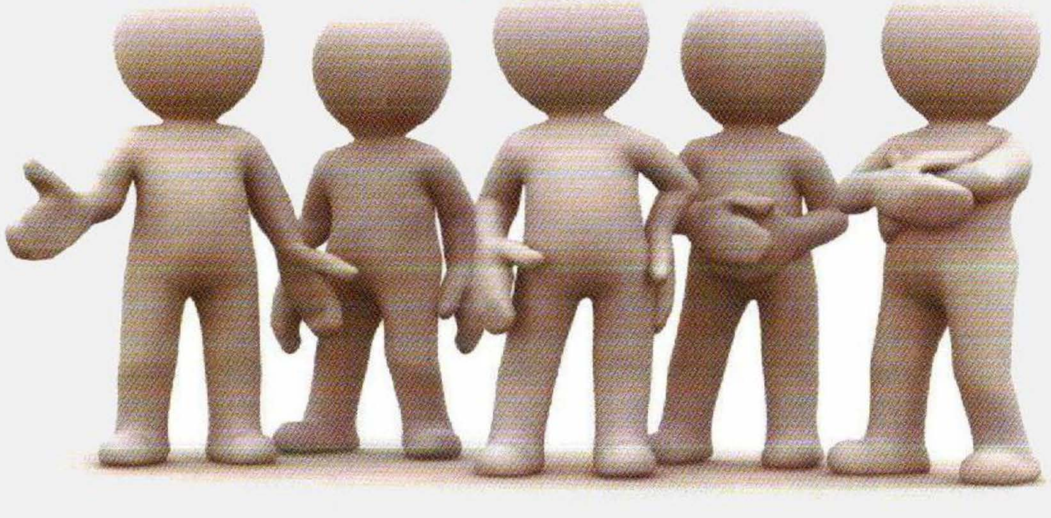

- مجموعة المبادئ والقيم والمفاهيم التي تجسد خارطة السير للأسرة المسلمة وترسم ملامح اتجاهها في هذه الحياة على مستوى الرؤية والأخلاق والسلوك والعلاقات والاهتمامات...

- إننا نعاني اليوم من ارتباك شديد على المستوى الأسري والاجتماعي في التعامل مع الوافدات الثقافية الجديدة، والمشكلة في الحقيقة تجاوزت حد الارتباك إلى المعاناة من شيء من الانقسام الاجتماعي.

- يعاني كثير من المسلمين من الفقر والبطالة، كما أن معظمهم يعملون في أعمال بدنية مجهدة، وهذا كله يُضعف اهتمامهم بتخطيط حياتهم الأسرية، والتخطيط لجهودهم التربوية، ومستقبل أبنائهم.

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

مسار الأسرة

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

الطبعة الأولى - ربيع أول (١٤٣٠هـ)
الطبعة الثانية - ربيع ثاني (١٤٣٠هـ)
والطبعة الأولى لدار السلام
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م

جمهورية مصر العربية
القاهرة
١٢٠ شارع الأزهر
ص.ب ١٦١ الغورية
هاتف :
٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٢٧٠٤٢٨٠
٢٤٠٥٤٦٤٢ - ٢٥٩٣٢٨٢٠
فاكس :
(+٢٠٢)٢٢٧٤١٧٥٠
الإسكندرية
هاتف :
٥٩٣٢٢٠٥
فاكس :
(+٢٠٣)٥٩٣٢٢٠٤
info@dar-alsalam.com
www. dar-alsalam.com

مؤسسة الإسلام اليوم
إدارة الإنتاج والنشر
المملكة العربية السعودية
الرياض
ص.ب. 28577
الرمز : 11447
هاتف : 012081920
فاكس : 012081902
جدة :
هاتف : 026751133
هاتف : 026751144
بريدة :
هاتف : 063826466
فاكس : 063826053

التربية الرشيدة

(١)

مسار الأسرة

«مبادئ لتوجيه الأسرة»

أ. د. عبد الكريم بكار

بطاقة فهرسة : فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشئون الفنية .

بكار ، عبد الكريم .
مسار الأسرة : « مبادئ لترجيه الأسرة » . تأليف : عبد الكريم بكار . - ط ١ . - [القاهرة] : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، [٢٠٠٩م] .
١١٢ ص ؛ ٢٠سم . - (التربية الرشيدة ؛ ١١) تدمك ١ - ٧٥٠ ٣٤٢ ٩٧٧
١ - الأسرة - الجوانب الاجتماعية . ٢ - الأسرة في الإسلام .
أ - العنوان . ٣٦٢,٨٢

▪ مقدمة

بسم اللّـه الرحمن الرحيم

الحمد للّـه رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام النبيين وخاتم المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فهذا هو الجزء الأول من سلسلة (التربية الرشيدة)، وقد خصصت الجزء الثاني للحديث عن أهم عشر قواعد في تربية الأبناء، أما الجزء الثالث؛ فقد تحدثت فيه عن الحوار والتواصل الأسري، وقد رأيت تخصيص هذا الجزء للكلام عن مجموعة المبادئ والقيم والمفاهيم التي تجسد خارطة السير للأسرة المسلمة، وترسم ملامح اتجاهها في هذه الحياة على مستوى الرؤية والأخلاق والسلوك والعلاقات والاهتمامات...وأعتقد أن وضوح الاتجاه والمسار يشكل شيئًا في غاية الأهمية لاستقامة حياة الأسرة ونجاحها، كما يشكل شيئًا مهمًّا في تحديد الأساليب والتقنيات التي ينبغي أن يتبعها الأبوان في تربية الأبناء. ويكسب توضيح الاتجاه والوعي به اليوم أهمية إضافية بسبب هذا الاختلاط والتمازج الثقافي الذي لم يسبق له مثيل، حيث صار الكثير من

الناس الحريصين على النقاء والصلاح والمحافظة على الهوية الإسلامية، يطرحون الكثير من الأسئلة حول الكثير الكثير من المفاهيم والتصرفات والمواقف، ومدى انسجامها مع العقيدة والرؤية الإسلامية.

وإني أشعر أننا نعاني اليوم من ارتباك شديد على المستوى الأسري والاجتماعي في التعامل مع الوافدات الثقافية الجديدة التي باتت تتقاطر علينا من كل حدب وصوب، والمشكلة في الحقيقة تجاوزت حدَّ الارتباك إلى المعاناة من شيء من الانقسام الاجتماعي حول كثير من العادات والتقاليد التي كانت موضع اعتبار، كما أن تطلعاتنا وطموحاتنا باتت - أيضًا - متباعدة، وهذا شيء خطير للغاية؛ لأن الطموحات هي التي تكشف عن بنية التدين وجوهر الرؤية، فإذا تباينت طموحاتنا، فإن هذا يعني أن بنية التدين لدينا قد أصيبت بإصابات بالغة، وحين تصاب البنية، فإن كل شيء يمكن أن يهتز ويضطرب: الأخلاق، والعلاقات، والسلوكيات...

نحن نعاني من أمية واسعة، ويعاني كثير من المسلمين من الفقر والبطالة، كما أن معظمهم يعملون في أعمال بدنية مجهدة، وهذا كله يُضعف اهتماماتهم بتخطيط حياتهم الأسرية، والتخطيط لجهودهم التربوية، ومستقبل أبنائهم، لكن مع كل هذا؛ فإن علينا أن نستمر في التوعية والكتابة والتحدث؛ لأنه ليس أمامنا أي خيار آخر.

الأسرة المسلمة وهي تعاني شؤون الحياة، وتحاول قضاء حاجاتها والقيام بواجباتها تشبه إلى حدٍّ بعيد ما يفعله ربَّان السفينة، وهو يحاول أن يبلغ وجهته المحددة، إنه لا يفتأ ينحرف بسفينته يمنة ويسرة حتى لا يصطدم بشيء أمامه، وحتى يتلافى تأثير الأمواج المتلاطمة في مسيرة سفينته، إن كل ذلك لا يزعجه؛ لأنه مطمئن إلى أنه يعرف وجهته، ويعرف الميناء الذي سيرسو فيه.

حين يكون اتجاهنا واضحًا، ويكون ما علينا أن نفعله، وما علينا أن نجتنبه حاضرًا في أذهاننا؛ فإن الأخطاء التي نرتكبها تكون بمثابة التحويلات التي تجرفنا عن الطريق العام، فنحن نحاول العودة إليه في أقرب فرصة، لكن المشكلة تكون قاتلة حين لا تكون هناك غايات محددة، ولا طريق عام، ولا معايير للصواب والخطأ، إننا نكون - حينئذ - أشبه بكوكب أفلت من مداره ليتيه في الفضاء إلى الأبد!

أنا لا أستطيع في هذه الرسالة أن أحدد كل ملامح مسار الأسرة المسلمة، لكن سأحاول - بعون اللّه تعالى - أن أضع اليد على العديد من النقاط الجوهرية التي تضيء لنا طريقنا، وتساعدنا على الوصول إلى بر الأمان.

واللّه أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، وأن ينفع به إخواني المسلمين؛ إنه سميع مجيب.

د. عبد الكريم بكار

في ٩/ ٩/ ١٤٢٩هـ

١

رؤيتنا

ا- رؤيتنا :

نحن في هذه الرسالة نحاول كسر النمط التقليدي المتبع في تأليف الكتب التربوية، وذلك لاعتقادنا بأن معظم الآباء والأمهات في حاجة إلى ما يعينهم على تكوين أسرة مسلمة ملتزمة وواعية ومعاصرة؛ أي: سنمزج على نحو يتسم بشيء من الجدة بين ما ينبغي أن يعرفه المربي، وبين ما سيقدمه لأطفاله على الصُّعد النظرية والعملية المختلفة. ولا بد لي من الإشارة إلى أننا لا ننظِّر هنا من أجل تكوين أسرة عادية، وإنما ننظِّر لأسرة متميزة ومتفوقة، أسرة تفهم دينها على نحو جيد، وتعرف روح عصرها ومتطلبات العيش فيه، كما أنها تنعم بالأمن والاستقرار والسعادة، ولهذا فإن القارئ الكريم سوف يشعر بأننا نطرح طرحًا مثاليًّا، ونتحدث بحديث يبتعد كثيرًا عن واقع كثير من الأسر، ومن ثم؛ فإنه لن يلامس همومها، ولا يساعدها على حلِّ مشكلاتها، وهذا الشعور صحيح إلى حدٍّ ما، لكن علي أن أقول أيضًا: إن سوية الوعي لدى كثير من المسلمين آخذة - بحمد اللَّه - في التحسن والارتقاء، وإن هذا الطرح واقعي منفتح على المستقبل، وإن الشريحة التي ستستفيد منه آخذة في الاتساع، ثم إن من الطبيعي أن تكون

هناك بعض المفارقات بين التنظير والتطبيق، فهذا شيء مألوف في كل مجالات الحياة، وإن لدينا الكثير من الآباء والأمهات ذوي الهمم العلية، والطموحات العالية، الذين لا يرضون بالقليل، ويبحثون دائماً عما هو أفضل وأعظم، وأرجو أن يجدوا فيما نقوله هنا الكثير مما يبحثون عنه.

إن امتلاك الأسرة المسلمة لرؤية جيدة لأوضاعها وواجباتها وحاجاتها والفرص المتاحة لها بالإضافة إلى رؤية جيدة لعصرها، يشكِّل في الحقيقة أساس حركتها ونموها، إنها من خلال الرؤية تعرف كيف تنطلق، وماذا تريد، وتعرف مواطن الخلل في بنيانها، كما تعرف ميزاتها ونقاط قوتها، إن الرؤية تشبه خارطة الطريق تارة، وتشبه دليل التشغيل الذي ترفقه الشركات الصانعة مع منتجاتها تارة أخرى. الرؤية ذلك الإطار المكوّن من المبادئ والقيم والمفاهيم والخطوط والملاحظات العامة، ومن العسير جدًّا التعبير عنها بشكل كامل ودقيق، ولهذا فإن كل ما سنقوله في حديثنا عن مسار الأسرة عامة، وعن رؤيتها خاصة هو عبارة عن محاولة لتوضيح ما يقودنا اجتهادنا إلى إدراك أهمية توضيحه، وإذا كان المنهج - أي منهج - هو عبارة عن مجموعة من المفاهيم والمقومات المتناسقة، فقد يكون من المفيد هنا أن أجعل هذه الرسالة برمتها عبارة عن مقولات مركّزة مع شرح يسير لها:

١- أسرة مرجعيتها الإسلام:

نحن أسرة مسلمة عن وعي وإدراك وفهم لمعنى الانتماء لهذا الدين، وحين نقول: إن الإسلام يشكّل مرجعيتنا في الحياة، فإن هذا يعني بالنسبة إلينا الكثير الكثير، وإن من جملة ما يعنيه الآتي:

○ الإسلام هو المنبع الصافي الذي نرِده، ونصدر عنه في معتقداتنا، وأخلاقنا، وعلاقاتنا، وتعاملاتنا، وكل شؤوننا، كما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

○ نحب اللّه ورسوله، ونعمل على إرضاء اللّه - تعالى - واتباع سنة رسولنا ﷺ في المنشط والمكره، ونعتز بالانتماء إلى الإسلام، وإلى أمة الإسلام، ونتمنى لكل إنسان على وجه الأرض أن ينعم بما ننعم به من نعمة الهداية، ولهذا فإننا نحاول أن نعرّف الناس على الإسلام، ونربي صغارنا على حب الدعوة إلى الله.

○ نعرف أن الالتزام بالإسلام يتطلب فهم أحكامه وآدابه، ولهذا فإننا نقرأ في العقيدة والسيرة والفقه والتفسير، ونعمل على أن تحتل كتب الثقافة الإسلامية مكانًا مميزًا في مكتبة المنزل.

○ نعرف أن في الإسلام عزائم ورخصًا، ونعرف أن هناك أقوالًا راجحة ومرجوحة وقوية وضعيفة في كثير من المسائل، ولهذا فنحن لا نستفتي في أمورنا إلا من نثق بدينه وعلمه، ونحاول أن نبتعد عن المختلف فيه، ومع هذا نعتقد أن اختلاف الأئمة في أمرٍ يجعل فيه سعة وتيسيرًا على الناس.

○ نغار على الإسلام وعلى المسلمين، ونعمل على مساعدتهم فيما فيه صلاحهم، ونحاول أن نكون قدوة لغيرنا من الناس.

○ نهتم بحفظ القرآن الكريم وتجويده وتدبره، ونحض الصغار على كل ذلك.

○ هدفنا الأسمى في هذه الحياة هو الفوز برضوان اللَّـه - تعالى - وجنات الخلد، ونحن مستعدون للتضحية من أجل ذلك.

○ نحن في سبيل ترسيخ هذه المعاني نكثر من ذكر اللَّـه تعالى، ونحاول الالتزام بالسنن والآداب النبوية، كما أننا نسأل أطفالنا الأسئلة التي توقظ وعيهم على وجود الخالق - سبحانه -، ونجيب على أسئلتهم كذلك، ونتناقش فيما بيننا في أحوال المسلمين، ونحاول المساهمة في تخفيف معاناتهم بكل وسيلة ممكنة، وحين تحدث مشكلة داخل الأسرة، فإننا نحلها في إطار قيمنا ومبادئنا وأخلاقنا الإسلامية، ونجعل منها فرصة لتذكير كل أفراد الأسرة بتلك القيم والأخلاق.

٢- كل المكاسب والخسائر في هذه الدنيا مؤقتة ومحدودة:

إن نظرة الأسرة المسلمة إلى طبيعة الحياة الدنيا ومباهجها وآلامها تشكل جزءًا مهمًّا من رؤيتها العامة، وحين يحدث خلل جوهري في هذه الرؤية، فإن كل شيء يمكن أن يضطرب ويختل.

الدنيا في نظرنا مزرعة للآخرة، ونحن نرجو من وراء العمل الصالح فيها ما يرجوه الزارع من البذور التي نثرها في أرض خصبة، وما أجمل قول اللـه - تعالى -: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]

المسلم يعيش في الدنيا، وقلبه معلَّق بالآخرة؛ لأنه يعتقد أن وجوده هنا مؤقت، وأن عليه دائمًا الاستعداد لدار الخلود الأبدي، وفي هذا يقول ﷺ: « ما لي وللدنيا؟! ما أنا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها »، ويقول اللـه - تعالى - مهوّنًا من شأن الدنيا: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: ٧٧]، وقال: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ [الرعد: ٢٦]

إن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - جاؤوا جميعًا بفكرة محدودية الحياة على هذه الأرض، ومحدودية كل ما فيها من خير ومن شر، ومن متع وآلام... كل ما فيها محدود ومؤقت وصغير، ومن المهم أن نتعامل معه بهذه النظرة وهذه الروح.

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى مسار الأسرة المسلمة في تربيتها لأبنائها؟

إنه يعني الآتي:

○ بما أن كل ما في هذه الدنيا مؤقت ومحدود؛ فإننا لا نبطر، ولا نتكبر، ولا نغتر، مهما أصبنا من الخير والنجاح والمال... وفي الوقت نفسه؛ فإننا لا نخضع، ولا نذل، ولا نيأس، ولا نُهزَم مهما لاقينا من الآلام والمصائب والمشكلات؛ لأن كل ذلك سينتهي، وسيغير اللّٰـه من حال إلى حال.

هذه أسرة رسب فيها أحد الأبناء في الثانوية العامة بسبب مرض مفاجئ في أيام الاختبار، وقد كان ذلك صعبًا ومؤلـمًا، وصار أصدقاؤه وزملاؤه يعزونه ويواسونه، وقد شكرهم الفتى على تعاطفهم معه، واتجه إلى بيته، وتلقت أسرته النبأ، وأبدت الأم انزعاجها، وجاء الأب، وباقي أفراد الأسرة، ووقفوا معه مواسين، وكان من جملة ما قالته إحدى أخواته: إن ما حدث ليس نهاية العالم، وغدًا سيكون إحساسك بالمرارة أقل، وبعد أيام سيكون الأمر طبيعيًا، فلماذا لا تحاول من الآن أن تسترجع وتحتسب، وتبدأ بالتخطيط للجولة القادمة. وقال والده: يا بني! بعد عشرين سنة من الآن لن يكون هناك أي فارق يذكر بين نيلك للشهادة الثانوية في هذا العام أو العام الذي يليه، إنك بذلت جهدك، وما حدث لك من المرض كان خارجًا عن إرادتك.

إن الإيمـان والنـظرة الإستراتيجية للمكاسب والخسائر الدنيوية كفيلان بجعلنا نحافظ على توازننا في كل الظروف والأحوال، وهذا ما حدث لذلك الشاب وأسرته..

○ لا ننظر إلى ما في أيدي الناس، ولا نحسد أحدًا، ولا ندخل في مسابقة ترفية واستحواذية واستهلاكية مع أحد، وحين يتسابق الناس إلى الحصول على المنافع من طرق مشبوهة، ننظر إليهم نظرة إشفاق؛ لأن ما يخسرونه من نقاء صلاحهم واستقامتهم أكبر بكثير مما يحصلون عليه.

إن أرزاقنا لن تنقص، ولن تتأخر عن موعدها إذا اتقينا اللَّـه - تعالى -، وتعففنا، وهذا ما تشير علينا به رؤيتنا للحياة.

٣- كل محرّم موصول بشكل من أشكال الضرر:

شريعة الإسلام - كما يقول ابن القيم - رحمه اللَّـه - رحمة كلها، وعدل كلها، ومصلحة كلها. نعم، وهي لطف وخير ورفق، وليس هناك محرَّم أو مكروه، أو مخالف لهدي الرسول ﷺ إلا وفيه نوع من الضرر والأذى، وهذا شامل للمعنويات والماديات، فالكذب، والخيانة، والغيبة، والنميمة، والفحش في القول، وأكل الربا، وأكل حقوق الناس، وأكل لحم الخنزير، وشرب الخمر، وتناول المخدرات، والقات، والدخان... كل هذا موصول بنوع من الضرر الذي يعود على صحتنا، أو على أسلوب عيشنا، أو على حياتنا الاجتماعية... وهذا الضرر منه ما هو مباشر وظاهر، ومنه ما ليس كذلك، كما أن منه ما هو

عاجل، ومنه ما هو آجل، ولهذا فإن الأسرة المسلمة ترى الخير كله في الالتزام بأحكام الشرع، واتباع سنة النبي ﷺ، ونحن كما أننا لا نقول: إن المحرمات والمخالفات على درجة واحدة من التحريم والحظر، كذلك لا نقول: إن الضرر المترتب عليها على درجة واحدة، لكن كلما ارتقت الأسرة المسلمة، وجدت نفسها أشد تنزهًا وابتعادًا عن المنهيات والمخالفات.

أسر مسلمة كثيرة تحاول اتباع هدي النبي ﷺ في النوم المبكر، حيث تعودت أن تطفئ الأنوار بعد العشاء بساعتين، فيُنهي الأطفال واجباتهم ومذاكرتهم لدروسهم قبل صلاة العشاء، ويكون ما بعد الصلاة لتناول العشاء، وجلسة خفيفة للمسامرة، ثم ينصرف كل فرد من أفرادها إلى فراشه، وقد لمست تلك الأسرة بركة هذا في الاستيقاظ المبكر للتهجد قبل الفجر، فترى في البيت الواحد الشخصين والثلاثة وأحيانًا الأربعة، وهم ما بين مصلٍّ، ومناجٍ ربه، ومستغفر، وقارئ للقرآن. إنه مشهد رائع يدل على عظمة أهل ذلك البيت وسموهم، وللنوم المبكر نفع مادي، حيث تدل الدراسات على أن نوم أول الليل أنفع بكثير للبدن من نوم آخره.

الأسر الملتزمة الصالحة أصفى نفوسًا، وأصح أجسامًا، وأكثر منطقية من الأسر الأخرى، وهي مع هذا وذاك تعيش مباهج الانسجام بين المعتقد والممارسة.

٤- مصلحة أسرتنا هي عين مصلحة أمتنا:

إن معقد الابتلاء في حياتنا الاجتماعية يتمثل في الاختلاف بين أهوائنا وأمزجتنا ورؤانا ومصالحنا، وسننجح في الاختبار إذا تجاوزنا المظهر إلى الجوهر، والشكل إلى المضمون، وذلك أن علاقتنا بأمتنا - ومجتمعنا طبعًا - هي علاقة الجزء بالكل، وعلاقة اللبنة بالجدار، فإذا كانت أسرنا صالحة وقوية ومنتجة ومتفاهمة، فإن أمتنا ستكون كذلك.

نحن حين نخدم الناس ونبني المرافق العامة، وحين نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، وحين نقف إلى جوار الضعيف والمظلوم، فإننا ننفع أنفسنا إذ نخلّصها من رذيلة الشح والأنانية والدوران في فلك المصالح الشخصية، ونحن أيضًا ننفع أمتنا؛ لأننا بذلك نجسد المبادئ والقيم التي تؤمن بها الأمة، كما أننا نحسن أوضاع بعض مكونات الأمة، ونخفف من مشكلاتهم، ويقدم الشهيد المثال الحي على ما نقول، فهو حسب الظاهر وحسب الرؤى السطحية والقاصرة قد خسر حياته، وتسبب بإقدامه وتضحيته بترميل زوجته، وتيتم أطفاله، لكنه في النظرة العميقة قد كسب نفسه، وساعد في إعزاز أمته، والدفاع عن بلده، واللّه - تعالى - لن يسوءه، في أهله وولده. إن أي ضرر يلحق بأي فرد من أفراد الأمة يصيب الأمة على مستوى من المستويات، كما أن أي تحسن يطرأ على حياة أي فرد أو أسرة، تنال الأمة حظًّا منه.

في إحدى الأسر ذكر أحد الأطفال أن زميله فلانًا اتُّهم بغير وجه حق بأنه أخذ قلم زميل له، وذكر الطفل أنه يعرف السارق الحقيقي، لكنه لم يتحدث عنه تجنبًا للمشكلات. وهنا انبرت الأم قائلة: يا بني هذا غير صحيح؛ لأن على المسلم أن يقف مع المظلوم، وعليك غدًا أن تخبر مدير المدرسة بما شاهدته، حتى لا ينجو السارق من العقوبة، ولا يُتهم البريء بما لم يفعل. وفي أسرة ثانية، قالت إحدى البنات: إن جيراننا يتركون مكيفات المنزل وهي تعمل، ويسافرون الأسبوع والأسبوعين، فقال لها أبوها: وماذا فعلت؟ قالت: لا شيء، هذه مسألة تخصهم! قال الأب: هذا التصرف خطأ، إذ من الممكن أن يشب في البيت حريق بسبب ذلك، كما أن في هذا تضييعًا للمال، وتبديدًا لمورد من الموارد المهمة، ولا بد من أن نقوم بنصيحة جيراننا؛ ليكفّوا عن ذلك.

لا شيء مثل الإسلام يجعل مصلحة الفرد والمجتمع والأمة واحدة، وإننا على مقدار التزامنا بتعاليمه وهديه سنشعر بتلك الوحدة، وسنعمل على تجسيدها.

٥- لدى أطفالنا أمور كثيرة لا ينضجها إلا الزمن:

الإنسان حين يولد يكون ناقص الإنسانية، وهو يستكملها على مراحل طويلة، ونحن نعرف أن الدراية والحنكة والحكمة والتوازن الجيد أمور عظيمة، وقد لا يظفر بها الإنسان قبل سن الأربعين، ولهذا فإن ابن السابعة والثامنة يعاني من الكثير من

النواقص، إنه قد يكذب، ولا يرى مشكلة في ذلك؛ لأنه لا يفرِّق بين الخيال والواقع، ولا يعرف أن كلام المرء ينبغي أن يطابق الواقع، ولهذا؛ فإنه قد لا يشعر بأي حرج حين يكذب.

وابن الثانية عشرة قد يسيء الأدب مع جده، وهو لا يعرف أنه قام بشيء غير معقول، وابن الخامسة قد يسرق؛ لأنه لا يعرف الفرق بين السرقة والاستعارة وهكذا... ماذا يعني هذا؟

إنه يعني الآتي:

- التسامح مع أخطاء الأبناء، فهم قد يعرفون أن هذا الفعل الفلاني خاطئ، لكن درجة ضبطهم لأنفسهم وعواطفهم تكون دون الدرجة المطلوبة.
- التواصل معهم بشكل دائم حتى ننقل لهم خبراتنا وأفكارنا.
- الإجابة على أسئلتهم وتساؤلاتهم بصبر وسعة صدر .
- سوف ننجح في هذا إذا تذكرنا الأخطاء التي وقعنا فيها حين كنا في مثل أعمارهم، بل ربما نكون قد ارتكبنا أخطاء أكبر وأشنع من أخطائهم.

٦- نحسِّن وعينا بأنفسنا عن طريق المقارنة بنظرائنا:

من المهم للأسرة المسلمة أن تحسِّن درجة وعيها بأوضاعها وأحوالها، وأن تعرف موقعها في المجتمع، ومدى ما تحققه من

نجاح وإخفاق، وإن جزءًا من ذلك يقاس عن طريق الالتزام بأحكام الشريعة الغراء وآدابها، فالأسرة المسلمة التي تفرط في أمر الصلاة، أو الصيام، أو الزكاة، تعرف أنها تتهاون بركن عظيم من أركان الإسلام، ويمكن معرفة جزء من واقع الأسرة عن طريق المقارنة؛ مع الأسر التي تعيش في ظروف مشابهة، ولديها إمكانات وفرص وتحديات مقاربة، إن الوعي بالذات فرع عن الوعي بالآخر، فإذا عرفنا ذلك الآخر استطعنا أن نكوّن وعيًا جيدًا بأنفسنا، خذ - مثلًا - مسألة الرفاهية والاستقرار والشعور بالأمن، إنها مسائل ذات طابع نسبي، فالذي يسكن في شقة واسعة تقع في حي كله من القصور والبيوت الواسعة والفخمة لا يشعر بالرفاهية، لكن شقته تلك ستكون مصدرًا للرضا والطمأنينة لو كانت في حي شعبي كثيرٌ من بيوته من الصفيح، إنه الشيء ذاته لكن قدرته على الإرضاء تختلف باختلاف محيطه. المطلوب في المقارنة أن تكون سديدة؛ لأنك حين تقارن نفسك بأناس مختلفين جدًّا عنك، فإن نتيجة المقارنة قد تكون مضللة، أو مخيبة للآمال.

إن علينا أن نترك المقارنة في شؤون الدنيا مع من هم أغنى أو أعظم نفوذًا، أو أعلى مكانة منا؛ لأن هذا يجعلنا نستخف بمنن اللّـه علينا، وبما أفاضه علينا من نعمائه، المقارنة قد تكون سببًا للحمد والثناء على اللّـه، فإذا وجدت الأسرة أنها رزقت

بأبناء نابهين ومتفوقين، فإن عليها أن تشكر اللّـه على ذلك، وقد تكون المقارنة سببًا في مراجعة الأخطاء، والترفع عن بعض الدنايا والسفاسف، وهذا شيء جيد.

٧- نعرف أن زماننا صعب، ولذلك نُعِدّ له أطفالنا على نحو أفضل:

للعيش في كل الأزمنة متطلبات، وفي كل العصور يلاقي الناس أزمات وصعوبات، وزماننا يختلف عن الأزمنة السابقة بكثرة المرفهات ووفرة الإمكانات، وبما أن الشيء - كما ذكرت قبل قليل - يكتسب دلالته من محيطه، فإننا لا نستطيع أن نتجاهل العرف السائد، ونظرة نظرائنا ومن هم في مستوانا للأشياء من حولنا.

الأسرة الملتزمة لا تدخل في منافسة مع أحد في أي شأن من شؤون الدنيا، ولا تحرم نفسها من التمتع بنعمة الاستقلال والتميز والتخلص من (الإمعية)، لكنها في الوقت نفسه تعيش زمانها، ولا ترضى بالعزلة، ولا تعمل على كسر ما تواضع عليه الناس على نحو تام.

إذا كان الناس ممن حولك ينظرون إلى الثلاجة على أنها ضرورية، فإنك لا تستطيع أن تنظر إليها على أنها كمالية، وإذا أصر ربّ الأسرة على شيء من ذلك، فإن أسرته ستشعر بغرابة أطواره، وتشعر بالحرمان، وإذا كانت الأسر المناظرة لأسرتك

في وضعها المادي تقيم حفلات أعراسها في فنادق وصالات أفراح، فإنك لن تستطيع إقامة حفلة عرس ابنك على سطح المنزل، أو في أرض فضاء دون شعور الأسرة بالدونية، وهكذا...

الأسرة المسلمة تعرف كل ذلك، ولهذا فإنها تستعد له من خلال الآتي:

- تزرع في نفوس صغارها روح الدأب والمثابرة.
- تقوّي لديهم حاسة الانضباط الذاتي، والقدرة على تأجيل الرغبات.
- تربيهم على الاستقامة والدماثة وتقدير الآخرين.
- تقوّي لديهم الروح الجماعية؛ ليتمكنوا من العمل ضمن فريق بكفاءة.
- تعلّمهم في أفضل مكان يمكن لها أن تعلمهم فيه، وتساعدهم على نيل أعلى الشهادات، وتدربهم على الاستفادة القصوى من الوقت.

إن هذه المعاني قد يتكرر الحديث عنها في هذه الرسالة؛ لأنها تشكل مفاتيح مركزية في شخصية الإنسان المسلم، وحياة الأسرة المسلمة.

٨- معظم التحديات التي تواجه أسرنا داخلية:

هذه سنة من سنن اللّـه في الخلق، فالناس أفرادًا وأسرًا

ومجتمعات يواجهون مشكلات وتحديات منوعة، منها ما يعود إلى طبيعة الحياة وتكاليفها، ومنها ما يعود إلى بغي الآخرين وإساءاتهم، ومنها ما يعود إلى القصور الذاتي والأخطاء الشخصية، وإذا تأملنا في قول اللّـه - تعالى -: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقوله: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠]، فإننا سنجد أن المشكلة هي في الغالب داخلية.

الأسرة المسلمة في حاجة إلى هذا الوعي حتى يستقيم أمرها، وتتمكن من حل مشكلاتها.

في إحدى الأسر نشب خلاف حاد بين الزوجين حول إعادة تأثيث المنزل: الرجل يريد تغيير التالف من الأثاث والإبقاء على الصالح منه، والمرأة تريد تغييره كليًّا، وتباعدَ موقفاهما، وارتفعت الأصوات، واقتربا من الوصول إلى الطلاق، وفي اليوم التالي جلس الابن الأكبر - وكان قد تخرج من الجامعة قبل شهور - مع والدته وسألها عن القضية، فقالت: أبوك يريد أن يغيّر كل أثاث البيت، لكن والدته تمنعه من ذلك، وتضغط عليه، وسأل الشاب أباه عن المشكلة، فقال: إن صديقات والدتك هن اللواتي أقنعنها بذلك، وقبل أسبوع كان رأيها من رأيي. في المساء اجتمع الشاب بأبويه وأعاد عليهما ما سمعه في شأن تجديد أثاث المنزل، ثم قال: ليست

المشكلة في ضغوط جدتي، أو رغبات صديقات الوالدة، المشكلة تكمن في أن التواصل بينكما والتفاهم غير كافٍ لاتخاذ قرارات حاسمة بعيدًا عن كلام فلان وفلانة، ولا أعتقد أن من المقبول أن يتنكد عيش أسرة بأكملها من أجل تأثيث منزل، ومن هنا؛ فإني أقترح تأخير هذا المشروع ستة أشهر حتى نستعيد التلاحم والتصافي اللذين فقدناهما، وقد وافق الأبوان على ذلك بسرور، بل إن الأم دعت لابنها بصدق وحرارة على موقفه الذكي والجريء.

أسرة أخرى اكتشفت أن ابنها الطالب في المرحلة المتوسطة يدخِّن خلسة، وبعد السؤال والبحث تبين أن أولاد خاله هم الذين أغروه بذلك وعودوه إياه، وقد همت والدة الطفل أن تكلم أخاها في الموضوع، وتحثه على متابعة أولاده، لكن الوالد قال: شيء جيد أن تنبهي أخاك إلى تناول أولاده للدخان، لكن ليس من الصواب أن نحمّل أولاده مسؤولية اعتياد ولدنا لذلك، إن المسؤولية مسؤوليتنا؛ لأننا لو اعتنينا به على نحو ممتاز، ولو عمقنا فيه حس التدين الصحيح؛ لكان موقفه هو نهي أولاد خاله عن التدخين، وليس الاستجابة لإغرائهم، هذه المشكلة فرصة لنا لنراجع أوضاع أسرتنا، ولنبدي اهتمامًا جديدًا بأبنائنا؛ وقد صدق الرجل.

٩- نؤمن أن المستقبل الجيد لا يولد من واقع رديء:

يعلمنا ديننا أن الأمر كله بيد الله ﷻ، وأن المستقبل غيب، لكنه يطلب منا إلى جانب ذلك أن نأخذ بالأسباب، ونحاول دراسة أي خطوة نريد أن نُقدم عليها.

إحدى الأسر المثقفة عقدت اجتماعًا مطولًا تخلله شرب بعض المشروبات الساخنة، وأكل شيء من الحلوى، وقد كان الحوار يدور بين الأبوين والبنت الكبرى حول مستقبل الأسرة، وكيف يمكن أن تجعل من نفسها أسرة نموذجية، وكانت البنت على درجة عالية من الثقافة في المسائل التربوية، وكان مما قالته: إننا لا نستطيع أن نرسم ملامح مستقبل أسرتنا، لكن يمكن أن نفعل الأشياء التي مضت سنة اللَّـه - تعالى - في كونها تفضي إلى أوضاع جيدة، قال الأب: وما هي؟ قالت: أن نحاول دراسة كل خطوة نريد الإقدام عليها دراسة جيدة، حتى نتمكن من اتخاذ القرارات الصحيحة قدر الإمكان، قالت الأم: هذا شيء جيد وصحيح، وهناك شيء آخر أشار إليه قول اللَّـه - تعالى -: ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]؛ أي: أننا إذا اتقينا اللَّـه - تعالى -؛ فإن نهايات أمورنا ستكون خيرة وطيبة في الدنيا والآخرة.

واتفق الجميع على هذين الأمرين: ترشيد القرارات الحاضرة، والعيش وفق مراد اللَّـه - تعالى -.

أسرة أخرى خططت على نحو جيد لتعليم أولادها، فكانت تستقطع ١٠٪ من دخلها، وتضعه في حساب خاص لدى أحد البنوك، وهذا المبلغ مخصص للإنفاق على من يرغب من الأبناء والبنات إكمال دراسته العليا، وقد تجمع لدى الأسرة على مدار خمس عشرة سنة مبلغ جيد من المال، وبسببه حصل أحد الأبناء على درجة الماجستير في إدارة الأعمال، وحصلت إحدى البنات على درجة الدكتوراه في الطب، وصارت طبيبة لامعة! هكذا الأسرة الراشدة تتصرف في أمورها على أساس الأخذ بالأسباب، وإحكام المقدمات في ظلال استقامة سلوكية عالية، وتطلب من اللـه - تعالى - مع هذا السداد والمعونة.

١٠- نحاول معرفة الفرق بين ما هو كائن، وبين ما ينبغي أن يكون:

هذه قضية مهمة وحيوية للفرد والأسرة والمجتمع والدولة وكل مؤسسة... إن الأسرة مهما كانت عظيمة وممتازة، فإن أمامها الكثير من العمل لتصبح أفضل وأفضل، وإن الكمال شيء نتطلع إليه، لكن يظل خارج التناول.

إن أهم ما يمكن أن تتأمل فيه الأسرة المسلمة هو أوضاعها الحاضرة على مستوى التعبد والتثقف والعلاقة التي تربط بين أفرادها، ومن خلال التواصل والتحدث المستمر تتكون لدى الأبوين والأطفال الكبار رؤية نقدية جيدة لوضعها الراهن،

ولا شك أن هناك أشياء عديدة ستظل موضع خلاف، لكن هذا ليس مهمًّا، المهم أن هناك أشياء عديدة هي موضع اتفاق، والأسرة المسلمة من خلال ثقافتها الإسلامية، ومن خلال فهمها لعصرها تتخيل الوضعية التي ينبغي أن تكون فيها، وستكون المسافة الفاصلة بين ما هي عليه، وبين ما تود أن تصير إليه هي الميدان الذي ستجري فيه وتجهد وتطوّر.

أحد الآباء قال لولده الكبير: ما الذي تراه في أسرتنا؟ فقال الابن: ماذا تعني؟ قال الأب: أريد أن أسألك: هل نحن أسرة جيدة في تعاملها مع بعضها أو لا؟ قال الابن: أبي أتسمح لي أن أتكلم بصراحة؟ قال الأب: طبعًا، قال الابن: أسرتنا ممتازة، لكن صرت أشعر في السنتين الأخيرتين أنك تتعمد مخالفة والدتي لمجرد المخالفة، فأنت لا تكاد توافقها في أي شيء تقوله، وهذا جعلنا نشعر بالضيق والجفاء، قال الأب: كلامك صحيح، وأمك - أيضًا - تتعمد مخالفتي، وأخذ الأب يسرد المثال بعد المثال... قال الابن: كلامك يا أبي صحيح وملموس، لكن لا يصح لهذا الوضع أن يستمر، وكلم الولد أمه بمثل ما كلم به أباه، واجتمعت الأسرة، واتفق الأبوان على الآتي:

- لا يناقش الأب الأم، ولا تناقش الأم الأب في مسألة فرعية وصغيرة.

○ إذا أبدى أحدهما رأيًا في شأن من شؤون الأسرة، ولم يُعجب الآخر؛ فإنه يقول رأيه بلطف، ودون أن يدخل في جدال.

○ إذا قال أحدهما قولًا أُعجب به الثاني، فإن عليه أن يثني على ذلك القول ويشجع قائله.

○ لا يتجادل الأبوان في مسألة معقدة أمام الأبناء، حتى لا تنقسم الأسرة إلى معسكرين، ويتعكر جوّها.

وتم تنفيذ تلك الاتفاقية، وحدث تغير ممتاز في حياة الأسرة، وصار الأب يتحدث عن تلك التجربة بعيدًا عن ذكر الأسماء، وانتفع بها كثير من الآباء والأمهات.

أحد الشباب أسّس موقعًا على الإنترنت يهتم بتنمية الشخصية، وصار موضوع تطوير الحياة الشخصية والأسرية وبيئات العمل أحد مشاغله الكبرى، وفي ذات مرة قال لأبيه: أبي إن أسرتنا تملك الفرصة لتقدم أسوة حسنة لكل معارفنا، قال الأب: وكيف ذلك؟ قال الابن: الأمر بسيط، نعقد على رأس كل شهر اجتماعًا مفتوحًا، نلقي فيه سؤالًا واحدًا في موضوع من الموضوعات، ونحاول الإجابة على ذلك السؤال.

قال الأب: وضِّح ماذا تعني، قال الابن: مثلًا في أول الشهر القادم يكون السؤال: ما الذي في إمكاننا أن نفعله في

مسألة تحبيب الكتاب إلى أسرتنا، ولِمَ نفعله؟ وعلى رأس الشهر الذي يليه: يكون السؤال - مثلًا -: ما الذي يمكن أن نفعله في مسألة توفير شيء من دخلنا حتى نستطيع امتلاك بيت في المستقبل؟ وهكذا...

وأُعجب الوالد بالفكرة، وتم تطبيقها على مدار خمسة أشهر، وشعرت الأسرة بتحسن كبير في حياتها، لكن مع الأسف لم تستمر في ذلك حيث توقفت عن طرح التساؤلات، وإن كانت الأم تقول بين الفينة والفينة: يجب أن نعود إلى ما كنا عليه.

١١- التفسيرات الخاطئة هي أكبر مصادر التضليل:

هذه المسألة من المسائل المهمة في تكوين الرؤية، ونحن نعرف أن النصوص الشرعية شددت على مسألة الكذب؛ لأن الكذاب يزوّر الواقع، ويضلل من يستمع إليه، لكن لأن الكذب خلق ذميم وسلوك مشين، فإن الناس يتحرزون منه، ويحاولون في أحيان كثيرة عدم اللجوء إليه، كما أنه يمكن في أحيان كثيرة التأكد من صحة الكلام الذي نسمعه، لكن التفسير الخاطئ شيء مختلف، فالخطأ قد يكون عن اجتهاد، كما أن الناس لا يتحرزون منه في الغالب؛ لأنهم لا يشعرون بالإثم عند القيام به، ومن هنا فإن الزيف وسوء الفهم الذي يحدث بسبب التفسير الخاطئ منتشر في الناس إلى حد كبير.

نحن نرى الأحداث بعيوننا، لكن نفسّرها بعقولنا، وعقولنا حين تشتغل على تفسير حدث أو ظاهرةٍ ما لا تقوم بذلك على نحو مباشر، ولكن بواسطة أدوات، وتلك الأدوات هي التعريفات والمفاهيم والمعلومات المتعلقة بالشيء، الذي نود فهمه وتفسيره، ومن هنا يروى عن علي ﷺ أنه قال: « رأي الشيخ ولا رؤية الصبي »، فالصبي قد يرى الشيء بعينه، لكنه قد يعجز عن تفسيره، فيفسره الشيخ على نحو أفضل مما يقوله الصبي الذي رأى.

الأسر تعاني الكثير من سوء التفسير، وتقع في أزمات كثيرة دون أن تعرف أسباب ذلك: هذه امرأة تود أن تُدخل السرور على قلب زوجها فتلاطفه، فيظن زوجها أنها تفعل ذلك؛ لأنها تريد أن يشتري لها شيئًا، وترفض ذلك الظن، ويقع النفور. وهذا رجل تثور أعصابه بسبب تصرف أحد أبنائه، فتظن زوجته أنه غضب منها، وترى أن غضبه من غير سبب، فتعاتبه، ولا تقبل كلامه، ويحدث الجفاء.

هذا ولد يرسب في المدرسة بسبب إغراء أولاد ع ـه له بالخروج منها، والالتحاق بالمهنة التي يعملون فيها، ويفسر أهله رسوبه بقولهم: إنه غبي، ومتخلف ذهنيًا، وهذا ولد يذهب إلى أحد زملائه ليذاكر معه دروسه، فيقول أهله: إنه ذهب ليلعب معه، وليس من أجل المذاكرة،وذاك رب

أسرة يُطرد من عمله بسبب انخفاض كفاءته وتشتت ذهنه عن عمله، بعد أن أصدر مديره قرارًا بفصله، فما يكون منه إلا أن يتهم مديره بأن فصله بسبب عداء شخصي، أو حتى يوظف في مكانه أحد أقربائه... والحقيقة أن الناس يفهمون وضعيتهم والعالم من حولهم فهمًا مشوهًا بسبب كسلهم وتقاعسهم عن تحري الحق، والنفاذ إلى حقائق الأمور، وسؤال أهل الخبرة.

الأسرة الواعية تحاول أن تفهم الأشياء على ما هي عليه، ومن خلال محاولاتها تقوم بالآتي:

١- لا تتسرع في تفسير أوضاعها والأحداث التي تجري لأفرادها.

٢- تحاول أن تستمع إلى أكثر من تفسير، وتقارن التفسيرات التي تسمعها، وتختار أفضلها.

٣- تسأل أهل الخبرة والاختصاص.

٤- تقرأ وتدرس وتتعلم كي تمتلك المفاهيم التي تساعدها على التفسير الصحيح.

٥- تمتلك القدرة على التراجع عن التفسير الخاطئ، وتبحث عن بديل له.

٢

قيمنا

٢- قيمنا :

تشكل الأخلاق والقيم اللبنات الأساسية في حياة الأفراد والأسر والشعوب، وحين ترتقي أخلاق أسرة يتحسن مزاجها النفسي، وحين تنهار أخلاق مجتمع ينهار مزاجه النفسي، وتنهار معه حضارته على سبيل التدرج.

لدينا الأخلاق ولدينا القيم، والقيم أوسع نطاقًا من الأخلاق، ويمكن القول: إن كل خلق قيمة، وليس كل قيمة خلقًا، فالمال قيمة مهمة، وليست خلقًا، والمنظر الجميل قيمة وليس خلقًا. القيم جمع قيمة وقيمة الشيء: قدره ووقعه في النفوس، فالأشياء القيمة جدًّا يكون وقعها في النفوس كبيرًا، وتثير اهتمام السواد الأعظم من الناس، فالكرم والصدق والشجاعة والمال والتعاطف... قيم عالمية كبرى، ومن النادر أن تجد من لا يهتم بها.

القيم في معظم الأحيان (حاجات) للأفراد، ثم تصبح بعد ذلك حاجات اجتماعية: أخطئ معك فتسامحني، وتعفو عني، فأشعر بحسن فعلك، وأحمل في نفسي الامتنان والتقدير لك، ويخطئ معي أحد الناس، فأعفو عنه؛ لأنني عرفت معنى العفو وقيمته، وهكذا تتشكل القيم على أساس الحاجات.

القيم المادية تتشكل على الأساس نفسه (الحاجات)، حيث إن قيمة الشيء ترتفع كلما اشتدت حاجة الناس إليه، وكلنا يعرف الحكاية المشهورة حين أُتي أحد الخلفاء بكأس ماء ليشربه، فقال له أحد الجالسين: يا أمير المؤمنين! لو ظمئتَ واحتجت إلى هذا الكأس، فَمُنِعْته فبكم تشتريه؟ فقال الخليفة: أشتريه بنصف ملكي!

القيم بعد هذا وذاك معايير وموازين نحكم من خلالها على الأفعال والأذواق والمواقف والعلاقات: نحن جميعًا نعتبر بر الوالدين قيمة من القيم العظيمة، فإذا رأينا من يهين أمه، ويضربها نظرنا إليه باحتقار، وقد نشكوه إلى الشرطة، وربما قاطعناه، وذلك لأننا حكمنا على موقفه من أمه من خلال قيمة (بر الوالدين).

القمار قيمة سلبية، فإذا رأينا من يقامر، فإننا ننظر إليه بدونية واشمئزاز، وإذا خطب فتاة فإن كثيرين يمتنعون من تزويجه، وذلك لأننا حكمنا على ذلك الشخص من خلال تلبسه بذلك الجرم الشنيع وهكذا...

وهذا يعني أن تقدير الناس للقيم لا يكون ثابتًا على خط واحد، فقد يرتفع، وقد ينخفض بحسب الحاجة والظرف، فالذي يتقاسم معي كأس ماء لديه ونحن في صحراء مهلكة، ليس مثل الذي يقدم لي كأس ماء وأنا في المسجد، والذي يعفو

عن قاتل ابنه ليس مثل الذي يعفو عمن وطئ رجله في مكان مزدحم، والذي يعطي والدته ألفًا في الشهر، ومرتبه خمسة آلاف ليس مثل الذي يعطيها ألفًا ومرتبه ثلاثون ألفًا، هذا بر وهذا بر، لكن نسبة ما يقدمه كل منهما إلى ما يتسلمه من مال مـختلفة، ولهذا فإن النظرة إليهما مـختلفة. ولا بد من القول هنا: إن اللّـه ﷻ فطر بني آدم على طبائع موحدة أو متقاربة، وجعل كثيرًا من حاجاتهم كذلك، كما أن تجارب الأمم أيضًا متشابهة في أمور كثيرة، وقد تولد من كل ذلك عدد كبير جدًّا من القيم الموحدة، وهي ما نسميه بالقيم العالمية، فالشجاعة والكرم والمروءة والإحسان والصبر والجمال والتعاطف والبر والاستقلال والحرية والقوة والمال والنفوذ والتواضع والحلم والتسامح... كلها قيم عالمية مشتركة.

السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: إذا كان الأمر كذلك فكيف تتمايز الأمم والحضارات والعائلات عن بعضها، وكيف تكون عائلة أفضل أخلاقًا من عائلة أخرى؟

الجواب يتجلى في أمرين أساسيين:

الأول: إيمان الأسرة بمبادئ وقيم لا تؤمن بها أسر أخرى، فالأسرة المسلمة تؤمن مثلًا باللّـه - تعالى - واليوم الآخر، وتحمل في نفسها مشاعر العبودية والإذعان للّـه - تعالى -، ولها نظرة خاصة تجاه الطهارة والعورة والعلاقة بين الجنسين، وتجاه

بعض المأكولات والمشروبات، وهذا كله يؤثر في مسار حياتها، وفي مواقفها على نحو بالغ وواسع، وهذا واضح جدًّا.

الثاني: سُلَّم القيم ودرجة الاهتمام، وهذا هو الشيء الأساسي الذي يصنع الفرق بين كثير من الأفراد والأسر والأمم، فإذا كان معظم القيم مشتركًا بين جميع الأمم، فإن لكل فرد ولكل أسرة ولكل مجتمع... ترتيبه الخاص للقيم التي يؤمن بها: تناول طعام الإفطار قيمة، والوصول إلى مكان العمل في الوقت المحدد قيمة أخرى، وحين لا يمكن الجمع بينهما؛ فإن الذي يعدّ تناول الإفطار قيمة أكبر، فإنه سوف يفطر ولو أدى ذلك إلى التأخر عن عمله، والذي يرى أن الحضور إلى العمل في الوقت المحدد أهم وقيمته أكبر، فسوف يؤجل إفطاره.

اقتناء المال قيمة، والنزاهة والكسب عن طريق مشروع قيمة أخرى، فإن كانت قيمة المال أعلى عند فلان من الناس، فإنه سيحرص على الحصول عليه، ولن يبالي بطريقة كسبه، أما من ينظر إلى اكتساب المال من حلال على أنه قيمة أعلى؛ فإنه سيتحرز عن المال المحرم مهما كان الظرف، وهكذا.. والقاعدة هي: أن الناس يضحون بالقيمة الدنيا من أجل مراعاة القيمة العليا، وهذا منطقي ومفهوم.

الشيء الأخير الذي أود أن أشير إليه في هذا التمهيد: هو

أن قيم الأسرة المسلمة مستمدَّة من عقيدتها وأحكام شريعتها، والشريعة الغراء نصت على كثير من القيم السلبية، وفي القيم الإيجابية قيم عليا وقيم دنيا، والقيم السلبية كذلك فيها قيم عليا ودنيا. كل ما هو فرض وواجب هو قيمة إيجابية عليا - والقيم العليا درجات -، وكل ما هو مندوب ومسنون هو قيمة إيجابية دنيا، وكل ما هو محرم هو قيمة سلبية عليا، وكل ما هو من قبيل المكروه وخلاف الأولى، هو قيمة سلبية دنيا، والأسرة المسلمة تستطيع قياس درجة رقيها في كثير من أمور الحياة من خلال تدرجها في الالتزام بالقيم الإيجابية العليا والدنيا، ومن خلال ابتعادها عن القيم السلبية العليا والدنيا، ولا يخفى أن هناك قيمًا كثيرة تدخل في باب المباح، وإن الأسرة تمارس تجاهها كامل حريتها، وعلى سبيل المثال فإنها هي التي تحدد المدرسة المناسبة لتعليم ابنها، وهي التي تحدد وقت نوم الأطفال ووقت استيقاظهم، وهي التي ترتب أمور المصروف الشهري، وأشياء كثيرة جدًّا من هذا القبيل.

أنا لا أستطيع هنا التحدث عن كل القيم الإيجابية والسلبية التي على الأسرة الانتباه إليها والاهتمام بها، فهذا حديث يطول، ومن ثم؛ فإنني سأركز على القيم التسع الآتية:

١ - ننوي الخير، ونحرص على نقاء سرائرنا:

نية الخير، تعني حبه، وتعني التطلع إليه، والطموح إلى

تحقيقه، والتطلع إلى الخير يدل على خيرية المتطلع وكرمه ونبله، وإن ذلك يشكل شيئًا أساسيًّا في حياة الأسرة المسلمة، وشيئًا مهمًّا في سيرها في الاتجاه الصحيح.

إن قيمة المرء على المستوى المعنوي تكمن في نوعية ما يطلبه، ويتمنى الحصول عليه، أما على المستوى التنفيذي؛ فإن قيمته تكمن في درجة إحسانه وإتقانه لعمله.

المسلم يعمل الخير، ويمضي في طريقه، فإذا لم تساعده الظروف؛ فإنه ينويه، ويسأل اللَّـه - تعالى - أن يهيئ له السبيل إليه، فيكون له أجر على ذلك، وقد قال ﷺ: « فمن همّ بحسنة، فلم يعملها كتبها اللَّـه عنده حسنة كاملة ».

قال زيد بن أسلم: « كان رجل يطوف على العلماء يقول: من يدلني على عمل لا أزال منه للَّـه عاملًا، لا أحب أن يأتي عليّ ساعة من الليل والنهار إلا وأنا عامل للَّـه - تعالى - فقيل له: قد وجدت حاجتك؛ فاعمل الخير ما استطعت، فإذا فترت - أو تركت - فهُمّ بعمله، فإن الهامَّ بفعل الخير كفاعله ».

في إحدى الأسر كانت نوايا الخير دائمًا حاضرة، نية للتطوع، ونية للإحسان، وأمنيات طيبة للناس... وكان الأب هو الذي أسس في أسرته ذلك، حيث إنه كان كثيرًا ما يتحدث مع كل واحد من أولاده عن بعض المشروعات الخيرية التي يمكن للصغار أن يساهموا فيها، وفي مرات عديدة كان الصغار

يقترضون من أبيهم بعض المبالغ المالية حتى يشاركوا في بعض المشروعات الخيرية على أن يخصمها الوالد على أقساط من مصروفهم الشهري، ومن بعض المكافآت التي يستحقونها.

أحيانًا تمر من قرب المنزل سيارة إسعاف مسرعة، فنجد الأب يدعو اللّـه لمن بداخل تلك السيارة بالشفاء والسلامة، ويدعو لكل المسلمين بمثل ذلك.

الأم كذلك كان لها دور مع بناتها، وكانت تقول للراشدات منهن: من أحبت منكن الاستيقاظ للتهجد، فلتخبرني حتى أوقظها، وكثيرًا ما يطلبن منها ذلك، ونحن في حاجة دائمًا أن نتحدث مع أبنائنا عما يمكن أن نفعله سويًا من المشروعات الخيرية، حتى تصبح ثقافة النية الحسنة مكينة وراسخة.

لا يكفي أن ينطوي القلب على نية الخير والتطلع إليه، بل لا بد إلى جانب ذلك من تطهره من الرياء والحسد والحقد والضغينة وسوء الظن، وما شاكل ذلك من الآفات، وأخطر هذه الأمراض هو الرياء؛ لأنه نوع من الشرك، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: يقول اللّـه - تبارك وتعالى -: « أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه » [أخرجه البخاري ومسلم]. إحدى الأمهات كانت ترسل ابنها بالطعام على نحو دائم إلى جار لهم أعمى،

وكانت تقول لأولادها: إذا أخذتم الطعام، فحاولوا ألا يراكم أحد، وينبغي ألا تتحدثوا في هذا أبدًا.

مطلوب منا أيضًا أن تكون قلوبنا نقية تجاه إخواننا المسلمين، فلا نحسد أحدًا ولا نحقد عليه، ولا نقاطعه، ونجعل العفو والصفح والمسامحة منهجًا في التعامل مع كل مسلم، يقول ﷺ: « لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد اللّه إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه ولا يحقره... » [رواه مسلم].

في ذات يوم تواصى مجموعة من الفتيان في إحدى المدارس على الالتزام ببعض الأمور الجميلة، وكان منها: إذا ذُكر أمامنا شخص بأنه غني، فإننا عوضًا عن تمني الغنى نقول: نسأل اللّه أن يزيده وإيانا من فضله، وإذا أوى أحدنا إلى فراشه قال قبل أن ينام: اللهم إني قد عفوت عن كل من أساء إلي في هذا اليوم رغبة في أن تعفو عني، ومنها كذلك إسكات النمام الذي ينقل كلام الآخرين، وعدم الاستماع إليه، والدفاع قدر الإمكان عن الغائبين من معارفنا وأصحابنا.. هناك أسر كثيرة تربي أطفالها على هذه المعاني العظيمة والكريمة، وينبغي علينا أن نتعلم منها.

٢- التطوع هو مصدر رفاهيتنا الروحية:

نشعر بالرفاهية والأناقة حين نتجاوز مرحلة الضرورة

والحاجة ونستمتع بالكماليات، إننا حين نأكل الفاكهة نشعر بالرفاهية، وحين نركب سيارة فاخرة نشعر بالرفاهية، وحين نلبس الثياب النفيسة نشعر بالرفاهية، وهذا الشعور ينبع من ملائمة ما نستمتع به لمشتهياتنا وأعماق طبائعنا، كما أنه ينبع من الشعور بالرضا حين تقارن نفسك، وأنت تستمتع بالكماليات بأولئك الذين لا يجدون الضروريات.

نحن نشعر بالأناقة الداخلية وبالرفاهية الروحية حين نشعر أنّا أدينا الواجب علينا، ثم جاوزناه لعمل ما ليس بواجب؛ مثل: أداء النوافل والسنن والآداب والمستحبات، وكل ما يترتب على تركه عقوبة، ونشعر بالرفاهية الروحية - أيضًا - حين نترك الكبائر والمحرمات، ونبدأ بالتحرز عن الصغائر والمكروهات والمشتبهات، وما فيه خلاف بين أهل العلم، وهذا يعني أن أهل الورع وأهل البذل في سبيل اللّٰـه، وأولئك المجتهدين في العبادة هم أهل الشعور بالرفاهية الروحية، وهذا صحيح، وشعورهم بالرفاهية هو عاجل البشرى، وعاجل الجزاء من اللّٰـه - تعالى -، وما ادخره لهم من الثواب أكبر وأدوم. نحن نريد في أسرنا أن نربي أطفالنا على معاني التطوع حتى يشعروا بالألق الداخلي، وحتى يسهموا في حل مشكلات مجتمعاتهم، ومن الواضح أن اللّٰـه - تعالى - جعل حياتنا الاجتماعية عبارة عن امتحان لنا

ليرى - سبحانه - أولئك الذين يوجدون الفائض الاجتماعي من خلال تطوعهم ومبادرتهم إلى الخير، وليرى - أيضًا - الذين يستهلكون ذلك الفائض من خلال كلالتهم، ومن خلال انحرافاتهم عن الطريق القويم، وقد وردت أحاديث كثيرة تشير إلى أشكال التطوع التي تولّد الرفاهية الروحية؛ منها:

- إماطة الأذى عن الطريق.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- نصيحة مسلم وإرشاده إلى الخير.
- إصلاح ذات البين.
- التبسم في وجوه الذين نقابلهم، ولو لم نكن نعرفهم.
- المبادرة بإلقاء السلام، ولا سيما حين يلقي السلامَ الكبيرُ على الصغير، والقاعدُ على الماشي.
- مساعدة مسلم في حمل متاعه، أو تشغيل سيارته.
- التبكير إلى المسجد، والصلاة في الصف الأول.
- أن يصل المرء من يقطعه من أقربائه وأرحامه.
- الصبر على أذى الجار.

إن الناس اليوم يعانون من جدب روحي بسبب الحياة المادية الصاخبة، وهم يحاولون تندية أرواحهم، وإنعاش أحاسيسهم عن طريق ترفيه أجسادهم من خلال الفاخر من المأكل والملبس

والمسكن والمركب... لكنهم مع الأسف لا يشعرون بالتحسن؛ لأن القحط الروحي سببه الغفلة والمعصية والأنانية، ولا يمكن القضاء عليه إلا من خلال المزيد من التطوع والتعبد والتنفُّل، وهذا ما على أسرنا أن تجعله ضمن دائرة اهتمامها. مجموعة من الفتيات ذهبن بتشجيع من أهليهن إلى دور الرعاية الاجتماعية لتقديم الهدايا لأولئك الأطفال الذين حُرموا من نعمة العيش في كنف أسرة بسبب جهالة أنسابهم، ومجموعة من الفتيات صرن يترددن على بعض المساجد ضمن برنامج محدد من أجل تنظيفها وتطييبها وصيانة بعض الأشياء فيها، وبعض الشباب يدخلون على (الإنترنت) من أجل الترويج لبعض الفضائل في المنتديات... أنشطة كثيرة بدأ وعي بعض الأسر - بحمد اللَّه - ينفتح عليها، لكنّ ما نحتاجه وما هو ممكن أكبر بكثير مما تمّ حتى الآن.

٣- المروءة وسمو الذات:

سمو الأسرة وارتقاؤها هو المقدمة لسمو المجتمع والأمة، فالخصال الحميدة والأخلاق الرفيعة تنمو وتتشكل برعاية بعض الأسر النبيلة، ثم تنتشر تدريجيًا لتصبح جزءًا من النسيج الاجتماعي، ولتغيّر ملامح الحياة العامة، وإن المنهج الرباني الأقوم يوفر لنا كل الآداب التي تساعد الأسر على تربية أبنائها تربية سامية ونبيلة.

والحقيقة: أن الأخلاق والأفعال التي ترفع الإنسان ليكون من أصحاب المروءة والسمو الشخصي كثيرة جدًّا، أشير هنا على نحو خاطف إلى بعضها:

○ ترك المرء التدخل في الأمور التي لا تعنيه، فلا يسأل شخصًا عن مرتَّبه، ولا يتدخل في خلاف بين رجل وابنه، ولا يحاول استقصاء أسباب نعمة هبطت على جار... وقد قال ﷺ: « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » [أخرجه البخاري ومسلم].

○ سعة في الصدر، وسماحة في النفس، وحب للخير تجعل المرء يحب للناس من الخير مثل الذي يحبه لنفسه، ويكره لهم ما يكرهه لنفسه.

○ الكرم في المنازعات والخصومات، فلا يفجر، ولا يحاسب على الحرف والكلمة، ويغض الطرف عن العثرات، ويحتمل أذى الخصم، وسلاطة لسانه.

○ الابتعاد عن مواقف الريب، وأماكن الشبهة؛ صيانة لعرضه من الغيبة، وشكوك الناس.

○ إصلاح المال وتثميره حتى لا يحتاج إلى الناس في معيشته وقضاء حاجاته.

○ الشوق للأصحاب والأصدقاء والتودد إليهم، وغض الطرف عن هفواتهم.

○ استكثار القليل من المعروف الذي يُقدم إليه، والاحتفال به، والسعي إلى مكافأة صاحبه، وقد كان سفيان - رحمه اللَّه - يقول: « إني لأريد شرب الماء؛ فيسبقني الرجل إلى الشربة، فيسقينيها، فكأنما دق ضلعًا من أضلاعي، لا أقدر على مكافأته ».

○ نظافة البدن، وطيب الرائحة، والعناية بالمظهر.

○ مراعاة الأعراف والعادات ما لم تخالف الشرع المطهر.

○ أن لا يفعل المرء في السر ما يستحي منه في العلانية.

○ الابتعاد عن الأكل في الطريق، والأماكن العامة.

○ الامتناع عن مد الرجلين في المجالس أمام الناس من غير حاجة.

○ الإقلال من المزاح، وعدم الإسراف في مباسطة الناس، وقد قال ابن عباس ﷺ: « يا بني لا تمازح السفهاء؛ فتسقط كرامتك، ولا اللئام؛ فتذهب مروءتك ».

○ التطلع إلى معالي الأمور وعلو الهمة في السعي إلى الإنجازات الكبيرة، وقد قال عمر ﷺ: « لا تصغرن هممكم؛ فإني لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمة ».

○ التأدب بآداب الطعام من نحو عدم الإسراع في الأكل، وعدم إظهار الشره والنهم، ونحو الأكل مما يليه...

○ المعاونة والمؤازرة والإسعاف والنجدة في الشدائد والمصائب.

○ الاستغناء عن الناس، وعدم سؤالهم أي شيء على قدر الإمكان.

إن متطلبات المروءة تستحق من الأسرة المسلمة أن تكتب أهمها في لوحات أنيقة، وتعلقها على جدران المنزل مدة من الزمن (ستة أشهر مثلًا)، تؤكد فيها على نفسها الالتزام بها، وبعدها تعلق مفردات أخرى.. وهكذا.

وقد قامت أسر قليلة جدًّا بشيء من ذلك، وشعرت بثمرات عظيمة له.

٤- نتحرى الصدق في كلامنا:

الصدق قيمة من أعظم القيم، وفضيلة من أجلّ الفضائل، وهو أساس متين لشيء في غاية الأهمية، وهو (الثقة)، فأنا لا أستطيع أن أثق في شخص كذاب، ولا أطمئن إليه، ولا يعنيني قوله في شيء؛ لأن كلام الكذاب فارغ من المعنى والمضمون، وما أجمل قوله ﷺ في شأن الصدق والكذب: « عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق حتى يُكتَب عند اللَّـه صدِّيقًا، وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب حتى يُكتَب عند اللَّـه كذابًا ».

يكفي الصدقَ شرفًا وعظمة أنه يقود صاحبه إلى البِر، والبر

اسم جامع لكل أنواع الخير، فكأن الصادق يمضي في طريق أهل الخير الأبرار. ويحمل الحديث بين ثناياه معنى الحض على مجاهدة النفس من أجل لزوم الصدق، وكأن الذي لا يجاهد نفسه، لا يستطيع أن يكون صادقًا في كل موقف، وذلك لكثرة الأمور والظروف التي تُغري المرء بالوقوع في الكذب.

أما الكذب؛ فإنه يقود صاحبه إلى الفجور، والذي يدفع بصاحبه في طريق جهنم. إن الإنسان حين يتخذ من الكذب وسيلة سهلة لتحقيق مصالحه وستر عيوبه وتسويغ أخطائه... إنه في هذه الحالة يعرّض نفسه لخطورة الاصطفاف مع الفجار، وهم أولئك الذين يكذبون عن عمد، ويحاولون جعل الباطل حقًّا، والحق باطلًا، من غير حياء من اللّـه، ولا من عباده.

نحن داخل الأسر محتاجون أولًا إلى صدق الكبار فيما يتحدثون به حتى يعرف الصغار فضيلة الصدق وخطورة الكذب، وإن من المهم في هذا أن نكون دقيقين جدًّا في أحاديثنا، ولا سيما في حالة الغضب، وفي أثناء تعكر المزاج، وأن نكون دقيقين أيضًا حين نقطع الوعود والعهود للأطفال حيث يجب الوفاء بها، وإلا ترسّخ في حسّ الطفل وعقله أن الوفاء بالعهد ليس بالشيء المهم. إحدى الأسر المسلمة أدارت نقاشًا جميلًا حول الصدق والكذب، وكان من جملة ما قاله الأب: إذا قال أحدنا إن فلانًا مسافر، فهذا يعني أنه يعتقد

اعتقادًا جازمًا أنه مسافر، وإذا كان غير متأكد؛ فليقل: سمعت أنه مسافر، أو يغلب على ظني أنه مسافر، فكلام الإنسان يجب أن يعبر عن معتقده وشعوره على نحو دقيق. هنا قالت إحدى البنات: إذا قلت إنه مسافر، وأنا أعتقد ذلك فعلًا، ثم تبين أنه غير مسافر، هل هذا كذب؟ قال الأب: هذا ليس كذبًا ما دمتِ قلتِ ما تعتقدين، لكن عدم سفره يدل على أنك كنت واهمة، أو اعتمدت على مصدر غير موثوق، والمفروض في المسلم أن يتثبت، ويتبين قبل أن يقول أي كلام، ورفع أحد الأطفال الصغار يده، وقال: لكن إذا قلت الصدق لأمي؛ فإنها سوف تضربني، وأنا أكره الضرب، ولهذا فإني أكذب عليها، وحين ترضى عني بعد مدة أقول لها الحقيقة!! هنا تبسمت الأم، وقالت: الآن اكتشفت حيلتك، ولن تنطلي عليّ مرة أخرى.

بعد هذا اتفقت الأسرة على شيء جميل، وهو أن من أذنب ذنبًا، أو قصّر في شيء، فإن عليه أن يعترف بذلك، ويعطي العهد على عدم العودة إليه مقابل أن لا يتعرض للعقوبة، قالت الأم: وإذا عاد؟ قال الأب: حينئذ يعاقَب ولو صدق، وإذا كذب؛ فإن العقوبة تكون مضاعفة، قالت إحدى الصغيرات: نقبل بالعقوبة لكن من غير ضرب، وضحك الجميع، وانفضُّوا، وقد اتفقوا على ذلك.

٥- نحرص على الكسب المشروع:

في زماننا هذا تعقَّدت المصالح، وكثرت أشكال المعاملات، كما كثرت طرق الكسب والدخل، وبما أن أكثر الذين يديرون الاقتصاد العالمي، ويضعون قوانين العمل والمعاملات المالية لا يدينون بدين الإسلام، أو يهتمون بأحكام الشريعة في مسألة الكسب وتحصيل المنافع، فإن كثيرًا من طرق الحصول على المال صار ملوّثًا أو مشبوهًا، وقد قال اللَّـه - تعالى -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢]

إن المراد بالطيب هنا هو الحلال الذي يحصل عليه صاحبه من طريق مشروع.

وفي حديث أبي هريرة ﷺ: « أن رسول اللَّـه ﷺ ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا ربُّ يا ربُّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك » [رواه مسلم].

إن هذا الحديث يدل على أن اللَّـه - تعالى - لا يقبل دعاء من غُذي بالحرام، وهناك من يقول: إن اللَّـه - تعالى - لا يقبل عمله أيضًا؛ وقد روى مجاهد، عن ابن عباس أنه قال: « لا يقبل اللَّـه صلاة امرئ في جوفه حرام » [رواه مسلم وغيره].

وعن النبي ﷺ أنه قال: « ما تصدَّق عبد بصدقة من مال

طيب، ولا يقبل اللّـه إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيده » [رواه البخاري ومسلم]. إحدى النساء سمعت من أخيها أن زوجها لا ينجز للناس معاملاتهم في وظيفته إلا إذا أخذ منهم رشوة، فانزعجت انزعاجًا شديدًا لمعرفتها بشناعة ذلك التصرف، واكتشافها أن ما تلبسه وتأكله هي وأولادها تم شراؤه بمال حرام، وقد حدَّثتْ زوجها بذلك؛ فاعترف، واحتجّ بأن غلاء الأسعار، وكثرة مصروفات الأسرة، جعل مرتّبه غير كاف للعيش، ولهذا فإنه مضطر إلى ذلك اضطرارًا. وجلست المرأة مع ابنها الكبير، وحدثته بالأمر، وتذاكرا في التدابير المطلوبة للحيلولة دون ذلك، وكان منها الآتي:

- يظل هذا الموضوع في دائرة الانتباه والمتابعة بسبب خطورته العالية.
- الاتفاق مع الأب على الامتناع النهائي عن أخذ الرشوة.
- قيام الأم بالاقتصاد في نفقات المنزل وتأجيل المشتريات غير الضرورية .
- يعمل الأولاد الكبار في إجازة الصيف في بعض الأعمال لأجل توفير مصروفات الدراسة خلال العام الدراسي.
- قيام بنتهم الوحيدة بالعمل من داخل المنزل بالاتفاق مع إحدى الشركات.

إن المرأة هي ضمير الأسرة وضمير الأمة أيضًا، ونحن نعوّل كثيرًا على نقائها وغيرتها على دينها وأسرتها في هذه المسألة، والمأمول منها أن تكون عند حسن الظن.

٦- لا نساوم على مبادئنا، ولا على كرامتنا.

عصرنا هذا هو عصر المساومة، فالعولمة فتحت وعي الناس على مصالحهم على نحو لم يسبق له مثيل، وفي سبيل الاستحواذ على أكبر قدر ممكن من المنافع المادية صار كل شيء قابلًا للتفاوض والمساومة، وقابلًا لدى كثير من الناس للبيع. التمسك بالمبدأ شرط أساسي للاستقامة والمضي في طريقها، وقد أوصى اللَّـه نبيه ﷺ بذلك حين قال: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٤٣].

إن جوهر التدين يكمن في الحقيقة في قدرتنا على التضحية بالعاجل حتى نحصل على الآجل، وحين يكون الإنسان مستعدًّا للتنازل عن بعض ما يؤمن به من أجل مصالحه؛ فإنه يكون قد خسر الكثير من ذلك الجوهر. إذا استطعنا أن نربي أطفالنا على مبدأ يقول: (اللَّـه هو الرزاق)، ومبدأ: (الأعمار والأرزاق بيد اللَّـه)، ومبدأ: (لا معطي لما منعه اللَّـه، ولا مانع لما أعطى)، ومبدأ: (من ترك شيئًا للَّـه عوّضه اللَّـه خيرًا منه)؛ فإنهم لن يقبلوا أخذ الرشوة، ولن يقبلوا الإهانة، ولن يدخلوا في أخلاق تآمرية ضد بعض الزملاء، ولن يذلوا

أنفسهم لأحد... لماذا؟ لأن مبادئهم تحول بينهم وبين الاندفاع إلى ذلك، فإذا رأينا أبناءنا لا يبدون أي مناعة تجاه هذه الأمور أو بعضها، فإن هذا يعني أننا لم ننجح في تربيتهم على النحو المطلوب. إن الذي يتمسك بمبادئه وقيمه، ويحرص على صون كرامته، قد يخسر بعض الأشياء على المدى القريب، لكنه يكسب نفسه على المدى البعيد، والمحن والشدائد تشكل دائمًا تحديًا وامتحانًا لأصحاب المبادئ، وحتى تكون مبادئهم راسخة وموضع إعزاز؛ فإنهم يستطيعون التضحية من أجلها، وإلا؛ فإنها تتهاوى ويتهاوون معها!

أحد الأبناء شكا لأبيه أن إحدى الجهات الخيرية تستغله على نحو سافر من خلال غموض العقد الذي بينها وبينه، فقال له أبوه: فاتحهم في الموضوع، ووضح لهم الأمر، فما كان من الابن إلا أن قال لأبيه: إن كرامتي لا تسمح لي بالتحدث في مثل هذا، فقال الأب: الآن يا بني أثلجتَ صدري، وأدركتُ أن جهدي في تربيتك قد أعطى من الثمار فوق ما كنت أرجو. شباب كثيرون عُرضت عليهم وظائف مرموقة، لكن شعروا أن فيها نوعًا من التهديد لمبادئهم، وأخلاقهم، فرفضوها، ورضوا بما هو أقل منها حتى لا يعرِّضوا مبادئهم للانتهاك.

إن التمسك بالمبدأ بالنسبة إلى الأسرة المسلمة يعني الآتي:

○ الاعتقاد بأننا في هذه الدنيا لن نحصل على كل شيء،

ولا بد من التنازل عن بعض الأشياء من أجل صون المبدأ والكرامة.

○ لكل شيء ثمن، فإذا أردنا التمتع بكل مباهج الدنيا، فهذا يعني أننا سنتنازل عن بعض مبادئنا وقناعاتنا، وهذا ما نرفضه.

○ تشجيع أفراد الأسرة بعضهم لبعض على الصبر ومقاومة الرغبات والشهوات.

○ التذاكر المستمر في الأمور التي لا يجوز لأي واحد من أفراد الأسرة التنازل عنها.

○ كل الخطايا التي ترتكب يكون سببها حب الدنيا، والأسرة المسلمة تحاول استحضار هذا المعنى، وتؤكد على أن العيش هو عيش الآخرة.

٧- لا نصبر على الظلم:

هذه قيمة مهمة على طريق تحقيق العدل، والذي هو قيمة من أعظم القيم التي تقوم عليها الحياة الأسرية والاجتماعية في العالم أجمع، ولو جئنا نستعرض الآيات والأحاديث التي حذرت من الظلم، وأوضحت خطورته وخطورة عواقبه؛ لطال بنا المقام، ويكفي أن نقرأ قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ

أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، وقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧]

وقوله ﷺ: «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة...» [رواه مسلم]، وقوله: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» [رواه مسلم]، وقوله: «إن اللَّـه ليملي - أي: يمهل - للظالم؛ فإذا أخذه لم يُفلته»، ثم قرأ قوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢]. [متفق عليه].

أستطيع أن أقول وأنا مطمئن: إنه لا شيء يفسد العلاقة بين أفراد العائلة الواحدة مثل الظلم والجور ومحاباة بعض الأبناء على حساب بعضهم الآخر، وإذا أردنا أن نكون صرحاء؛ فيمكن أن نقول:

إن بيوت كثير من المسلمين مملوءة بالمظالم، فهناك من يفضل الزوجة الأولى وأولادها على الزوجة الثانية وأولادها، وهناك من يفعل العكس، وهناك من يفضل الذكور على البنات، وهناك من يفضل ولدًا على باقي إخوته، وهناك... وإن عجبي لا ينقضي من رجل يودّع الحياة الدنيا مقبلًا على اللَّـه وهو يحيك مع أولاده الذكور المؤامرات لحرمان بناته من

الميراث!! إن هذا نوع عجيب من الحماقة وشراء الشقاء، أناس ينعمون بشيء لا يستحقونه، ورجل يختم حياته بغضب اللَّـه عليه، وكم أتألم حين أسمع فتاة تدعو على أبيها الذي حرمها من الميراث، وتقول : أسأل اللَّـه أن يحرمه الجنة كما حرمني حقي !!

إن استكانة كثير من الناس للظلم هو الذي يشجع الظالمين على التمادي، ومن ثم فإن الوقوف في وجه الظالم والوقوف إلى جانب المظلوم من المهام العظيمة للمسلم في هذه الحياة؛ لأن الظلم إذا فشا أفسد كل شيء، وحوّل حياة الناس إلى قطعة من العذاب، وما أعظم قوله ﷺ: « انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا »، قلنا: يا رسول اللَّـه! نصرته مظلومًا، فكيف أنصره ظالـمًا؟ قال: « تكفه عن الظلم؛ فذاك نصره » [أخرجه البخاري].

الزوج والزوجة والأبناء والبنات يتحملون مسؤولية إقامة العدل داخل الأسرة من خلال الفاعلية التي أشار إليها الحديث الشريف بتشجيع مواقف العدل والإنصاف والتوقف عند الصور الجميلة من إعطاء الحقوق لأصحابها، ومقاومة الظـلم داخـل الأسـرة، والتعاطـف مـع المظلوم ومواساته، والعمل على انتزاع حقه.

إن الظلم يتفشى في المجتمع؛ لأنه لم يجد من يقاومه داخل الأسرة، كما أن كثيرًا من الناس يظلمون غيرهم عندما يكبرون

حتى ينتقموا لأنفسهم من المجتمع الذي لم يساندهم حين تعرضوا للظلم...

إن اللّه - تعالى - لا يطلب منا أن نحب أولادنا على نحو متساوٍ، فهذا فوق الطاقة، لكن يطلب منا أن نحرص كل الحرص على أن لا تتجسد ميولنا القلبية في سلوكياتنا ومعاملاتنا وعلاقاتنا.

والعدل بين الأبناء لا يتطلب أيضًا المساواة في كل شيء، فإذا كان أحد الأبناء يرغب في إكمال دراسته، فإننا ننفق عليه، ولا يجب علينا أن نعطي من اختار الوظيفة مثل ما نعطيه لأخيه الطالب، لكن ينبغي أن نوجد جوًّا من الرضا والتفاهم لمثل هذه الحالات، وإذا احتاج من اختار الوظيفة إلى معونة من نوع ما، طيّبنا خاطره بما نستطيع، وفي إطار العرف الساري، ولهذا الأمر تفاصيل لا أحب أن أخوض فيها الآن.

أحد الآباء الموسرين اشترى سيارة فخمة لابنه الكبير الذي يدرس في السنة الثالثة في الجامعة، واشترى سيارة أقل من متوسطة لابنه الذي يدرس في السنة الأولى، وقد أثار ذلك إحساسًا بالظلم لدى الصغير، وشعرت أختهما التي تدرس في المرحلة الثانوية بذلك، وتحدثت مع أبيها فيه، فشكرها، وقال: طبيعي أن تكون سيارة الابن الأكبر أغلى ثمنًا، قالت البنت: لا مشكلة في وجود شيء من الفوارق، لكن أن يكون ثمن

سيارته مئة ألف وثمن سيارة أخيه - والذي هو أيضًا طالب جامعي - عشرين ألفًا هذا فارق كبير جدًّا يا أبي، ولا أُخفي أن أخي يشعر بالظلم، وبشيء من الغيظ من أخيه الأكبر، ولا بد من تدارك الأمر، وقد أُعجب الوالد بطرح ابنته، وقام فعلًا بإصلاح الوضع، وشعرت الأسرة جميعها بالارتياح.

في أسرة أخرى لاحظت الأم أن زوجها يسرف في الثناء على ابنته (سعاد) والتي تدرس في المرحلة الإعدادية، وحجته في ذلك أنها بنت نشيطة في خدمة أبويها، وذكية ومتفوقة في دراستها.. وكان موقفه من ابنه (محمود) - والذي كان يكبرها بثلاث سنوات - موقفًا مغايرًا تمامًا، فهو دائم التوبيخ له، وإذا أخطأ أغلظ له في العقوبة، وهذا أدى بذلك الولد إلى أن يؤذي أخته، ويكيد لها، ويمنعها من أشياء كثيرة في غيبة أبيها، وقد تحدثت الأم مع الأب وابنها الشاب، على أن يعتدل الأب في ثنائه على البنت، وفي موقفه السلبي من الولد، وأن تقوم الأم والأخ الأكبر بتشجيع محمود ومساعدته في بعض شؤونه.

هناك فتيات رفضن الزواج مع تقدم خاطبين جيدين لهن، والسبب هو كره (جنس الرجال) كما يقلن، وذلك الكره تكوّن لديهن من خلال الظلم والعسف الذي رأينه من آبائهن في تعاملهم مع أمهاتهن، وذلك لشعورهن بأن تجربة أمهاتهن

يمكن أن تتكرر معهن، فانظر إلى آثار الظلم كيف يمكن أن تمتد وتتطاول جيلًا بعد جيل!

كلنا مطالبون بالوقوف في وجه الظالم كائنًا من كان بالأسلوب المناسب، وبالحكمة، والحنكة المطلوبة؛ والله لا يضيع أجر المصلحين.

٨- نحترم النظام:

يميل الناس إلى الفوضى، ويكرهون التقيد بالنظم؛ لأنهم يظنون أن الفوضى هي الحرية، أو تشبه الحرية، ونحن نرى أن بين الفوضى والعشوائية والتخلف علاقة وثيقة جدًّا، وإن كثيرًا من تحضر الأمم يتجلى في تنظيم شؤون حياتها العامة والخاصة. الأطفال الصغار لا يعرفون هذا المعنى؛ لأن إحساسهم بالوقت وبالربح والخسارة والمرونة وسيولة الحركة ضعيف أو معدوم، أما الكبار؛ فإنهم يدركون أن الحياة من غير نظام ستكون صعبة وعقيمة ومملوءة بالمشكلات.

تصوروا معي مدينة مكتظة بالسيارات وبالمارة، وليس فيها إشارات مرور أو شرطة تنظم السير، كيف سيكون حالها؟

إن الجميع سوف يتأذون من كثرة التداخل والتصادم، وسوف ينشأ الكثير من النزاع، والنتيجة هي بطء الحركة. هكذا حياتنا من غير نظام ستكون زاخرة بالمشكلات، وستكون حركتنا أيضًا بطيئة.

العبادات في الإسلام تؤكد على معنى النظام، حيث إن لكل عبادة توقيتًا محددًا، ويجب أن نستلهم من ذلك معاني تنظيم شؤوننا، وأعتقد أن مما يحتاج إلى تنظيم داخل الأسرة الآتي:

- أوقات تناول وجبات الطعام.
- أوقات النوم والاستيقاظ.
- توزيع أعمال المنزل على الأولاد.
- أوقات الدراسة وكتابة الواجبات.
- مشاهدة التلفاز والبرامج المختلفة.
- الاجتماعات الأسبوعية أو الشهرية التي ينتظم فيها كل أفراد الأسرة.
- الرحلات والخروج إلى المتنزهات.
- زيارة الأرحام والأقرباء.

إن اتفاق الأبوين على ما أشرنا إليه يعد ضروريًّا لسيادة النظام داخل الأسرة، ولو أننا تأملنا في الأسر المفككة؛ لوجدنا أن عدم وعي الأبوين بأهمية النظام داخل الأسرة، وعدم اتفاقهما على جوهر ذلك النظام، هو الذي أدى إلى فقدان الأسرة للروح الجماعية، وأدى إلى انتشار الفوضى فيها.

٩- نرتقي بلغتنا.

لا يعرف معظم الناس مدى التأثير الذي تحدثه اللغة في

الفكر والمشاعر، فنحن نعرف أن اللغة وسيلة للتعبير عن أفكارنا ومشاعرنا، ولا شك أنها كذلك.. لكن ما يحتاج منا إلى وعي هو أننا حين نفكر؛ فإنما نفكر عبر كلمات وجمل، ولهذا فإن ما ننطقه يصنع الأفكار ويصنع المشاعر، ويوجد الانطباعات.

ومن هنا نبهنا اللّـه ﷻ إلى أن هناك من يحصي علينا ألفاظنا لنحاسَب عليها فيما بعد، حيث يقول - سبحانه -: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

ونبهنا رسول اللّـه ﷺ إلى أن الكلمة الواحدة قد تكون سببًا في سعادة الإنسان أو شقاوته، حيث قال: « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان اللّـه - تعالى - ما يلقي لها بالًا، يكتب اللّـه له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط اللّـه ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت: يكتب اللّـه له بها سخطه إلى يوم يلقاه » [رواه الترمذي].

لا أريد أن أفيض هنا في ذكر النصوص التي تحثنا على ضبط ألسنتنا والارتقاء بخطابنا؛ فهي كثيرة جدًّا.

إن الإنسان لا يُعرف إلا إذا تكلم، ولهذا فإن النمط الذي يتبعه أفراد الأسرة في كلامهم يعبر عن تدينهم وتهذيبهم ووعيهم ودرجة تمدنهم، وإن المفردات التي تساعد على

ارتقاء لغة الأسرة وخطابها كثيرة جدًّا، أذكر أهمها على سبيل الاختصار الشديد:

- تحري الصدق والبعد عن الكذب والمبالغة والتهويل.
- تجنب الغيبة والنميمة والهمز واللمز والتنابز بالألقاب.
- الإقلال من الحلف قدر الإمكان.
- البعد عن المزاح الذي ينطوي على معانٍ مخلَّة بالأدب.
- هجر الكلام الفاحش والبذيء.
- استخدام العربية الفصحى، والإقلال من الكلام باللهجات المحلية.
- استخدام التشبيهات الراقية، والبعد عن الإسفاف فيها.
- عدم تشبيه أي ولد أو إنسان بالحيوان، وعدم إطلاق أي وصف من أوصاف الحيوان عليه.
- البعد عن اللعن والسب والشتم.
- الإقلال من الكلام حتى لا يصبح الإنسان مهذارًا.
- الإكثار من الدعاء أثناء الخطاب: حفظك اللَّه، رعاك اللَّه، أطال اللَّه عمرك.
- مخاطبة الناس بأحب أسمائهم إليهم، واستخدام ألقابهم العلمية، مثل: (مهندس)، و (دكتور)، و (أستاذ)..
- استخدام ألفاظ تدل على التوقير، مثل: (حضرتك)، و (جنابك)، و (من فضلك).

○ الإكثار من نطق الألفاظ التي تدل على الرقة والشفافية: (عفوًا)، (شكرًا)، (عاجز عن الشكر)، (كلُّك لطف).

○ التفكير في الكلمة ومدلولها في نفس المخاطب قبل النطق بها.

○ البعد عن السرعة في الكلام، وعن الصياح، ورفع الصوت.

○ التثبت والتبين من صحة الكلام الذي نسمعه قبل البناء عليه، ونقله للآخرين.

○ البعد عن مديح الذات، وعن الإكثار من كلمة (أنا)، و (رأيي الشخصي)، و (في تصوري)، و (تحليلي الخاص) مما يدل على التمايز والتفاخر.

○ البعد عن تنميق الألفاظ، والانصراف إلى الاهتمام بالمعنى.

○ المطالعة في المعاجم العربية للتعرف على معاني الكلمات المتداولة وغير المتداولة.

إن الصغار يكتسبون اللغة على فترة طويلة نسبيًّا، ويجب أن لا يملَّ الأبوان خلال تلك الفترة من توجيههم وإرشادهم وتصحيح أخطائهم.

إن هناك عشرات القيم التي يمكن أن نتحدث عنها، لكن حرصي على أن تكون هذه الرسالة صغيرة الحجم قدر

الإمكان يجعلني أكتفي بما ذكرته منها، ومن اللَّـه - تعالى - الحول والطول.

٣

علاقاتنا

٣- علاقاتنا :

مضت سنة اللَّـه - تعالى - في الخلق أن يكون لكل شيء قوامه الخاص، وأن تكون خصائصه الذاتية هي المكوِّنات لذلك القوام، كما مضت سنته - تعالى - في كل واحد من مخلوقاته أن يتأثر بغيره، حتى الحجر؛ فإنه يتأثر بالشمس والماء والهواء والنار... الطفل يتأثر من خلال علاقاته بغيره على نحو بارز؛ وذلك لأنه حين يولد يكون غير مكتمل الخصائص، وعن طريق احتكاكه بأبويه وإخوته وأقربائه... يكتسب الكثير من الأخلاق والصفات، ومن هنا؛ فإن الصواب القول: إن الشيء هو هبة علاقاته، ولهذا فإن العلاقات داخل الأسرة تستحق الكثير من الاهتمام والتركيز والانتباه، حيث إن كل خصائص الإنسان وكل فضائله وعيوبه تظهر خلال معايشته للآخرين وتعامله معهم، وإن أي تحسن يطرأ على الإنسان، وأي تراجع - أو انحطاط - يبتلى به يظهر عيانًا للأشخاص القريبين منه.

إن شدة الاختلاط بين أفراد الأسرة وكثرة وجود الأشياء والمسؤوليات المشتركة بينهم، إن كل ذلك يوجِد الكثير من التوترات والمصادمات، ولا سيما إذا تذكرنا أن الأبوين

ينظران إلى أبنائهما على أنهم قاصرون، ويحتاجون إلى الكثير من التوجيه والتأديب... أما المراهقون والشباب من الأبناء؛ فإنهم لا يرون ذلك في ذواتهم، بل ربما نظروا إلى أنفسهم على أنهم أكثر نضجًا من آبائهم وأمهاتهم، وهذا يجعل العلاقات داخل الأسرة حسّاسة، ويجعلها في حاجة إلى رعاية وعناية مستمرة.

وهذه بعض النقاط الرئيسة في هذا الشأن:

١- علاقتنا مع من حولنا فرع عن علاقتنا بخالقنا:

تنظر الأسرة المسلمة إلى العلاقات التي تربط بين أفرادها على أنها فرع عن العلاقة التي تربطهم باللَّـه - جل وعلا -؛ أي: أن مواقفهم من بعضهم تـتشكل وفق مرضاة اللَّـه - تعالى -، وتعليمات الشريعة الغراء، وهذا لأن الزوجة قبل أن تكون زوجة هي أخت الزوج في الإسلام، والأب قبل أن يكون أبًا هو أخ في الإسلام، ولكل مسلم الكثير من الحقوق على أخيه المسلم، كما أن هناك الكثير من الآداب التي ينبغي مراعاتها بين المسلمين عامة، المسلم يحاول إسعاد أخيه المسلم، ويدافع عنه في غيبته، ويدفع عنه الظلم، ويغيثه في الشدائد، ويقدّم له النصح، ويعفو عنه إذا أخطأ... هذا كله ينبغي أن يتوفر بصورة أكثر تألقًا في حياتنا الأسرية؛ لأن الأب أكثر من أخ، والأم أكثر من أخت، وقد روي عن رسول اللَّـه ﷺ

أنه قال: « ما تحاب اثنان في اللّـه - تعالى - إلا كان أفضلهما أشدهما حبًّا لصاحبه » [رواه ابن حبان وغيره].

هذا هو المعيار: الذي يحبُّ أخاه أكثر، ويحسن إليه أكثر، ويقوم بحق الصحبة والقرابة أكثر، هو الأفضل، وهو الذي يستحق كرامة اللّـه - تعالى - أكثر.

لا يكفي في هذا الاعتقاد النظري، بل لا بد من استحضار هذا المعنى على نحو دائم حتى يوجّه علاقاتنا داخل الأسرة وخارجها، وهذا يحتاج إلى همة ومجاهدة؛ لأن المشكلات والتحديات اليومية تُنسينا الكثير من المعاني السامية والنبيلة.

٢- لا نتوقع من بعضنا الكثير:

الأبوان يقومان بتربية أبنائهما، وهدفهما ليس الترفيه والتدليل وكسب تعاطف الأبناء، وإنما هدفهما إعدادهم للحياة، وتكوين عقولهم ونفوسهم على نحو سوي يمكّنهم من عيش زمانهم بكفاءة واستقامة، وهذا يتطلب منهما أن يربيا لدى الأطفال نزعة الاعتماد على الذات والاستقلال، وتقليل الحاجة إلى الآخرين داخل الأسرة وخارجها، وذلك لأن الطفل حين يتوقع من أبويه وإخوته قدرًا كبيرًا من الرعاية والحياطة، وقدرًا كبيرًا من الاهتمام وقضاء الحاجات لا يتعلم تحمل المسؤولية، ولا يتمكن من تنمية مهاراته، كما لا يستفيد الخبرات المطلوبة، كما أن أفراد الأسرة حين يتوقعون

من بعضهم قدرًا من الدعم والمساندة، تكثر معاتبتهم لبعضهم، وتكثر مرات شعورهم بالخذلان، والعجيب: أن رسول اللّه ﷺ شدد على هذا المعنى أثناء أخذ (البيعة) من بعض أصحابه، حيث قال لهم فيما قال: « ولا تسألوا الناس شيئًا »، قال الراوي: (فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه، فما يسأل أحدًا أن يناوله إياه) [رواه مسلم].

وقال ثوبان – مولى رسول اللّه ﷺ-: قال رسول اللّه ﷺ: « من يكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا، وأتكفل له الجنة؟ »، فقال ثوبان: أنا، فكان لا يسأل أحدًا شيئًا. [رواه أبو داود وغيره].

إن الاستغناء عن الناس فضيلة عظيمة، وإن ترسيخ تلك الفضيلة في نفوس الصغار من مسؤوليات الأسرة.

الأبوان أيضًا مطالبان بأن لا يُثقلا كاهل أولادهما بكثرة الطلبات؛ لأن استغناءهما عن أولادهما هو الذي يؤكد للصغار قيمة الاستغناء عن القريب والبعيد.

مظاهر الاستغناء عديدة؛ منها:

- إذا وقع الطفل؛ فتجاهل ذلك، وعَوِّدْه أن ينهض بمفرده ما لم تكن هناك إصابة مؤلمة.
- تعويد الولد أن ينظم غرفته، وإذا تأخر عن الطعام سَكَبه لنفسه.

○ تعويد الطفل أن لا ينتظر الثناء من أحد على أي عمل جيد ينجزه، وأن لا ينتظر التشجيع من أحد على عمل ينوي الإقدام عليه.

○ إذا تعرض الطفل لمشكلةٍ ما؛ فعوّده أن يبحث عن حل لها بنفسه، فإذا عجز: مددتَ له يد المساعدة.

○ حفّز الطفل دائمًا على أن يبادر إلى قضاء حاجاته دون انتظار مساعدة من أحد.

○ لا تسمح للولد الكبير أن يكثر من طلب الخدمة من إخوانه الصغار، ولا تسمح للذكور أن يُكثِروا من طلب الخدمة من أخواتهم البنات.

○ تعويد الطفل إذا واجه ضائقة، أو احتاج إلى مساعدة أن يلجأ إلى اللّـه – تعالى –، ويطلب منه المعونة والقوة.

٣- نعترف بأخطائنا، ونعتذر عنها:

الاختلاط الشديد بين أفراد الأسرة سوف يؤدي لا محالة إلى أن يخطئ بعضهم مع بعضهم الآخر، والواجب في هذه الحالة أمران: أن يعترف المخطئ بخطئه على نحو صريح، وأن يقوم بالاعتذار ممن أخطأ معه، ولا فرق في هذه المسألة بين الصغار والكبار. في صباح أحد الأيام استيقظت إحدى الأسر، ووجدت أن الباب الخارجي للمنزل مفتوح، وقد استاء الأب لذلك استياءً شديدًا؛ لأن ذلك يشكِّل خطورة كبيرة على

الأسرة ومقتنيات المنزل، وظن هو وزوجته أن ولدهم فلانًا هو الذي ترك الباب مفتوحًا حين قدم ليلًا، فما كان من الأب إلا أن وبَّخه توبيخًا شديدًا، حتى إن الابن صار يبكي من شدة ما سمع، وبعد الظهيرة تبيَّن للأم أن ابنهم الأكبر هو آخر من جاء إلى المنزل، وبالتالي؛ فإنه هو الذي ترك الباب مفتوحًا، وطلبت الأم من الأب الاعتذار وطلبَ المسامحة من الابن الذي قام بتوبيخه، لكن الأب رفض؛ لأنه غير لائق، ولأن ذلك الولد نسي الباب مفتوحًا في الماضي مرات عديدة، فليكن التوبيخ الذي سمعه عقوبة عن واحدة من تلك المرات، لكن البنت الكبرى رفضت هذا المنطق، وقالت: يا أبتي إن أخي شعر بالظلم من توبيخك له، وهو لا يستطيع أن يفهم أن توبيخه في الصباح كان عن خطأ ارتكبه منذ شهر، وقد استجاب الأب فعلًا لطلب البنت، وقام بالاعتذار من الولد، ووعده بالتثبت قبل الحكم في المرات القادمة.

اعترافنا بما نقع فيه من خطأ، واعتذارنا عنه يؤسِّس لدى الأطفال أهمية مراجعة الذات، وأهميةَ طلب السماح ممن يسيئون إليه، وهذا وذاك من الأمور المهمة في حياتنا.

٤- أساس الأسرة زوجان متحابان:

من الواضح أن نوعية العلاقة بين الزوجين تصبغ الأسرة كلها بصباغها، وهذا أمر طبيعي، فالأبوان المتحابان المتفاهمان

يجعلان الجو الأسري بهيجًا، ويجعلان بناء الأسرة متينًا ومنسجمًا، والحقيقة: أن تفاهم الزوجين وتحابهما يترك آثارًا بعيدة المدى في حياة الأبناء، حيث إنهم يتشربون من آبائهم وأمهاتهم المعايير والمفاهيم والتقاليد التي سيعاملون بها أزواجهم وزوجاتهم في المستقبل، فالبنت تعامل زوجها وتتوقع منه بحسب الخبرة التي اكتسبتها من خلال معايشتها لأبويها، وكذلك الابن، ولهذا؛ فإن التجربة علّمت العامة أن يسألوا عن أم البنت التي يريدون خِطبتها، كما أنهم يسألون عن أهل الأم، أي أخوال البنت وخالاتها.. لأنهم وجدوا أن البنت تتطبع بطباع والدتها...

نحن نستطيع إذن أن نقول: إن تفاهم الزوجين هو أكبر هدية يقدمانها لأولادهما، وهذا التفاهم يرتكز إلى المبادئ والمفاهيم الآتية:

أ- إن الذي يتزوج - رجلًا كان أو امرأة - بنيةِ الأخذ والاستمتاع، وتلبية حاجاته الخاصة، يبدأ بداية مزيّفة؛ لأنه لا يعرف المعنى العميق للحياة الزوجية، والذي يتجسد في التضحية والعطاء، وليس الأخذ.

ب- تقدير الرجل للمرأة، وتقدير المرأة للرجل هو مفتاح التفاهم، لكن التقدير يكون مجوّفًا ولا معنى له إذا لم يقم على الحرص على فهم اهتمامات الشخص الذي نقدره، والعمل على مراعاتها.

ج- احترام الشريك ينبغي أن يشتمل على احترام أفكاره، ووجهة نظره.

د- الاختلاف بين طبيعتي الرجل والمرأة هو الأساس، وهذا ينعكس على اهتماماتهما ونظرتهما للأمور...

هـ- العلاقة الحقيقية بين الزوجين هي علاقة روحية وعلاقة صداقة، وإذا ظلت العلاقة بينهما في حدود العلاقة الجسدية، فإنها ستكون باهتة ومعتمة وسطحية وذات طابع مصلحي.

و- للزوجة رغبات وللزوج رغبات، وللزوجة حاجات، وللزوج - أيضًا - حاجات، والطريقة الصحيحة للتعامل معها هي المساعدة على قضاء الحاجات، وتقليل التدخل في الرغبات قدر الإمكان، فالناس يحبون من يساعدهم في قضاء حاجاتهم، ولا يسمحون لأحد بالتدخل في رغباتهم.

ز- حين يقع صدام واختلاف بين الزوجين؛ فإن عليهما أن يتعلما كيف يقومان بتطويقه وتحجيمه وتقصير مدته، وإلا فقد تكون أيام خصامهما أكثر من أيام صفائهما، وهذا ما لا يتمنّاه أحد.

٥- التسامح استدراك على القصور:

يعني التسامح: التنازل عن شيء من حظوظ النفس، وأحيانًا: التنازل عن شيء من الحقوق، ويعني التسامح -

أيضًا -: غض الطرف عن بعض الأخطاء التي يقع فيها أحد أفراد الأسرة صغيرًا كان أو كبيرًا، والهدف من التسامح: جعل العلاقات الأسرية صافية ووثيقة، والإبقاء على تماسك الأسرة وتلاحمها، أما الداعي إلى التسامح؛ فهو أولًا: التخلق بأخلاق الإسلام، حيث إن التسامح نوع من اليسر والكرم والشهامة التي ينبغي أن يتخلق بها كل مسلم، والداعي إليه ثانيًا: هو تسوية من نتسامح معه بأنفسنا، فنحن نحب من يعفو عن زلاتنا، ومن يتنازل عن بعض حقوقه من أجلنا.. وعلينا أن نفعل ذلك مع غيرنا استرشادًا بقوله ﷺ: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » [متفق عليه].

والداعي إلى التسامح أخيرًا: قصور فهمنا لأحوال بعضنا، ولخلفيات تصرفات الناس حولنا، وقصورنا في تفسير تلك التصرفات، إذ إننا مهما اختلطنا ببعضنا؛ فإن هناك أمورًا كثيرة يمكن أن نفهمها بطريقة خاطئة، هذا طفل في المرحلة الابتدائية طلب من والدته في أحد الأيام السماح له بعدم الذهاب إلى المدرسة بسبب الوهن الذي يشعر به، ورفضت الأم ذلك؛ لظنها أن هذا سبب مفتَعل، وأن الطفل لم يرد الذهاب إلى المدرسة؛ لأنه لم يكمل كتابة واجباته، وذهب الطفل مكرهًا، وبعد ساعتين اتصلت المدرسة، وطلبت حضور والد الطفل حتى يرجعه إلى المنزل بسبب الإغماء الذي حدث له، وهذه

فتاة دخلت إلى غرفة أبويها دون أن تطرق الباب، فانزعج والدها انزعاجًا شديدًا، ووبخها على ذلك، وصارت الفتاة تبكي، ثم تبين أن الفتاة ظنت أن أبويها غير موجودين في الغرفة، وهذا الظن مبني على إخبار أخيها الصغير لها بوجود أبويها في حديقة المنزل. في مواقف مثل هذين الموقفين نسيء التصرف لأننا لم نفهم الأمور على النحو الصحيح، ويكون علينا أن نعتذر حتى نستدرك على قصور فهمنا وتحليلنا وسوء تصرفنا. قد قالوا: إن المعرفة الكاملة صفح كامل، وبما أن معرفتنا ناقصة، فإن صفحنا سيظل ناقصًا، وعلينا أن نتدارك ذلك النقص من خلال العفو وغض الطرف.

٦- نتعامل ونتصرف في ظل الاعتقاد بوجود الوفرة والرخاء:

هذه نقطة مهمة في العلاقات الأسرية خاصة، وفي العلاقات الاجتماعية عامة، إذ إن من المهم أن نعتقد أن في فضل اللّه - تعالى - وبركاته ما يكفي الجميع. إن عقلية الضيق والشح سوداء تجلب للناس الكثير من المتاعب غير الضرورية.

الأبوان مسؤولان مسؤولية كاملة عن هذا الموضوع؛ لأنهما يرسّخان في أذهان الأولاد من حيث لا يشعران فكرة وجود خاسر وفائز، وناجح ومخفق، ومقبول ومرفوض، وذلك من خلال الأقوال والأفعال والمقارنات السلبية: أخوك يطيعني

أكثر منك، أختك ستكون في المستقبل طبيبة، أما أنت؛ فستعمل في مصنع، أخوكِ ينظّم غرفته وينظفها، وأنتِ مهملة... وعلى صعيد التصرفات نجد من الآباء والأمهات من يضع أحد الأطفال الصغار في حجره طول الوقت، وإذا جاء أخوه الأكبر لم يجد مكانًا للجلوس، ولا ترحيبًا به، وبعض الآباء يمنح المال لبعض أولاده بسخاء بسبب نفوذ أمهم وسيطرتها، أما أولاد الزوجة الثانية؛ فلا يحصلون إلا على القليل... هذا كله يجعل الأطفال يشعرون بشح الموارد والإمكانات، واشتعال التنافس على كل شيء، ويصبح كل واحد من الأبناء يقول في نفسه وفي كل موقف: إما أنا وإما أخي!

لنتحدث أمام الأطفال دائمًا بأن الخير كثير، وبأن الفرص الكامنة والقادمة أكثر بكثير من الظاهرة والموجودة، ولنرحب بالجميع، ولنمنحهم من حبنا واهتمامنا بالتساوي وبسخاء بالغ، قل للطفل: أعط قطعة من الحلوى التي بيدك لأختك، وسأعطيك وأعطيه قطعة أكبر، وقولي للطفلة: تعالي واجلسي هنا إلى جوار أخيك، وأفيضي على الاثنين من حنانك.

لنتذكر دائمًا قول اللّه - جل وعلا -: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، ولنحاول نشر التفاؤل بوجود المزيد من الإمكانات والمساحات الرحبة.

٧- الاحترام المتبادل يولد لدى أطفال الأسرة حساسية إيجابية نحو الناس جميعًا:

إن التهذيب الذي نُنشئهم عليه يدفعهم إلى مراعاة الآخرين وإسعادهم، والاعتراف بميزاتهم... وهذه المعاني تتجسد أولًا داخل علاقات أفراد الأسرة بعضهم ببعض، فالبنت تتعلم الاحترام من معاملة أبيها لأمها، وأمها لأبيها، والصغير يتعلم من أخيه الكبير كيف يكون توقير الكبار والرحمة بالصغار، والحقيقة أن من طبيعة الإنسان المحترم جدًّا أنه يمنح الاحترام لمن يستحقه، ولمن لا يستحقه، وذلك لأن السمو الذي تنطوي عليه جوانحه يمنعه من تصنيف الناس إلى شخص محترم جدًّا، وشخص محترم، وشخص نصف محترم، وشخص يستحق الإهانة... إن هذا التقسيم لا يصدر عن شخص محترم، وإن احترام الإنسان لغيره يعني الآتي:

أ- احترام ذاته بوصفه إنسانًا، فالله ﷻ كرّم الإنسان وأسجد لأبينا آدم ملائكته بعد أن نفخ فيه الروح، فالصغير والكبير مهما كان وضعهما يستحقان نوعًا من الاهتمام والتقدير والرحمة.

ب- احترام خصوصياته، حيث لا يصح أن نتجسس عليه، ولا أن نخترق مجاله الخاص الذي رسمه لنفسه، كما لا يصح البحث في أوراقه وملابسه، ما لم يجد الأب أو الأم حاجة ماسة لذلك، وهذه تكون عند الارتياب الشديد والظن القويّ بوجود خلل في وضع الطفل، أو وجود خطر يهدد حياته.

ج- احترام رأيه وذوقه واختياره وملاحظاته، والاحترام لهذا لا يعني طبعًا موافقته على ذلك، فهذا لا يقول به أحد، وإنما يعني الاعتراف بوجود وجهات متعددة في هذه الأمور، ومن حق كل واحد أن يتجه الوجهة التي يراها ملائمة، وأفراد الأسرة بوصفهم وحدة اجتماعية متلاحمة ومتراحمة، لهم على بعضهم حق النصح والإرشاد، وهذا الحق ثابت للصغار والكبار.

د- عدم الضغط على ذلك الغير كي يقول رأيه، أو ما يعتقد في مسألة من المسائل، وعدم الضغط عليه كي يغيِّر رأيه، أو مذهبه، أو اختياره.

إن البشرية ظلت مددًا طويلة من الزمن حائرة في التعامل مع التعانف الاجتماعي الذي يتولد عن التنافس على موارد محدودة، وعلى الجاه والسلطة، وحاولت كسر حدته عن طريق ما يسمى: (التراتيبية الاجتماعية)، ورأت في فارق السن والعلم والاستقامة أساسًا لذلك، فالكبير يستحق بسبب سنه احترامًا من الصغير، والعالم والخبير من الجاهل، والمستقيم الصالح من الأشخاص العاديين ومن هم دون العاديين، وفي أدبياتنا ما يشير إلى شيء من ذلك، على نحو ما نجده في قول اللّـه - تعالى -: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وما نجده في قوله ﷺ: « من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا؛ فليس منا » [رواه أبو داود].

الصغير يوقر الكبير ويُجلّه، ويتأدب معه، والكبير يرحم الصغير، ويرق له، ويمد له يد المعونة، والمستقيم التقي يتلقى التقدير والاحترام ممن لم يتصف بذلك، وهو من جهته يشفق عليه، ويرحمه، ويرشده، ويأخذ بيده إلى سبيل الفلاح، إنه احترام مشوب بالتعاطف والرحمة والنفع والتوجيه.

٨- الاشتراك في العبادة والتعلم...:

لدينا - بحمد اللّه - الكثير من الأسر الخيرة والصالحة، ولدينا الكثير من الأسر الجادة والمهتمة بصلاح أمرها، لكن هذه وتلك تشكو من سيطرة روح الفردية عليها، الأب مشغول بشؤونه، والأم مشغولة بمشاغلها، وكل واحد من الأولاد جالس في غرفته أو أمام التلفاز، أو يتحدث مع زملائه بالهاتف.. إن البيوت فعلًا تتحول تدريجيًّا إلى ما يشبه (الفنادق)، وهذا يؤثر تأثيرًا كبيرًا في عملية التربية؛ لأن احتكاك أفراد أسرة ببعضهم يشكل موردًا مهمًّا لنضج الصغار، وتقوية الروابط... ومن هنا فإن توفير الأنشطة التي يلتئم فيها شمل الأسرة يعد أمرًا مهمًّا، ويمكن أن يكون من تلك الأنشطة الآتي:

١ - الدعاء والثناء على اللّه ﷻ، وقد ورد أن ابن عباس - رضي اللّه عنهما -: « كان إذا أراد أن يختم القرآن جمع أهل بيته، ودعا معهم دعاء الختم ».

٢- ترديد بعض الأناشيد الإسلامية ذات المعاني السامية والجميلة.

٣- يمكن لمن ليس عليهم صلاة جماعة من أهل البيت أن يصلّوا الفرائض جماعة، ويمكن لأهل البيت أن يصلّوا جميعًا ركعات في الليل جماعة وفق ما هو مقرر في كتب الفقه.

٤- المشاركة في تقديم الخدمة لبعض الجهات أو الأسر المحتاجة، وتنفيذ بعض المشروعات الخيرية المشتركة.

٥- تدريب الصغار على الخطابة، وتعليمهم فن الإلقاء، والاستماع إليهم بحرص واهتمام.

٦- تكليف أحد الأبناء بتلخيص قصة، أو رواية، أو كتاب، واجتماع الأسرة لسماع ذلك التلخيص ومناقشته.

٧- الذهاب إلى المكتبة واختيار الكتب التي تناسب الأسرة، والقيام بشرائها.

٨- تنظيم لعبة جماعية بسيطة، يشارك فيها من يحب من أفراد الأسرة، وتكون ذات طابع مرح. إن هذه الأنشطة التي ذكرنا تعطي الأسرة الإحساس بالتوحد، وتُضفي على حياتها المتعة والسرور، وتتيح لها الكثير من الفائدة.

٩- نمارس النقد في إطار المحبة:

تحتاج الأسرة المسلمة إلى ممارسة النقد الذاتي والنقاش الحر في أوضاعها وشؤونها المختلفة، ومسوّغ النقد هو تلك الفجوة

الأبدية بين ما نفعله على أرض الواقع، وبين ما يجب أن نفعله، حيث لا تستطيع أي أسرة أن تقول: إن أوضاعها على ما يرام، وإنها لا تشكو من أي مشكلة. النقد داخل الأسرة يكون للأوضاع العامة للأسرة، ويكون من فرد من أفراد الأسرة لفرد آخر، أما على الصعيد الأول، فإن على الأبوين أن يشجعا الأطفال على إبداء ملاحظاتهم حول وضع الأسرة، حتى يشعر الجميع بأن في إمكانه أن يقول ما يعتقد أنه يجب أن يقال، وحتى يتدرب الصغار على ممارسة النقد الموضوعي المهذب، فالأسرة في الأصل هي مركز تدريب على اكتساب مهارات الحياة المختلفة، هذا ولد في المرحلة الابتدائية يقول لوالدته: كلما دخلت إلى غرفة وجدت الأنوار مضاءة والمكيف في حالة عمل، وليس فيها أحد، وهذا إسراف وتبذير للكهرباء، وهذه بنت في المرحلة الثانوية تقول لأبيها: إننا صرنا نتساهل في الاستيقاظ لصلاة الفجر حين تكون مسافرًا، حيث إن معظم من في البيت لا يستيقظون إذا لم تقم أنت بإيقاظهم، وهذا طفل يقول لأمه: نحن صرنا نتأخر كثيرًا في السهر، وهذا أدى إلى أنني مع إخوتي صرنا ننام - أحيانًا - أثناء الحصص الدراسية...

إن ترحيب الأبوين بنقد الصغار هو الذي يشجعهم عليه، ولا يصح أن يتوقف الأمر عند الترحيب، بل لا بد من مناقشة ما يقولونه والاستفادة منه.

أما نقد أحد أفراد الأسرة لفرد آخر، فهذا يحتاج لشيء من الانتباه، وذلك لأن العلاقات الأسرية في حدودها الدنيا متينة جدًّا، أما في مستوياتها العليا، فإنها هشة جدًّا، حيث إن كلمة غير موزونة أو جارحة يوجهها الرجل لزوجته ، أو توجهها المرأة لزوجها، أو توجهها أخت لأخيها... يمكن أن تعكر القلوب شهرًا، وحين تكثر الكلمات من هذا النوع، فإن حياة الأسرة يمكن أن تصبح بائسة وكئيبة. إذا لاحظ أحد الأبناء شيئًا غير ملائم على أحد إخوته، فإن عليه أن يفكر في طريقة إبداء الملاحظة، وأن يختار الوقت والتعبير المناسبين، وقد يستشير والده في ذلك، ويكون الرأي أن تحدث الأم أو الأب الولد بذلك الشيء عوضًا عن الابن.

أحيانًا تكون الملاحظة على أحد الأبوين، وحينئذ فقد يكون من الأنسب أن يفاتحه به شخص كبير (الولد الكبير أو الزوج..) في كل الأحوال، فإن على الناقد مهما كان موضوعيًّا ومحقًّا في نقده أن يحرص على صفاء العلاقة بينه وبين من ينتقده؛ لأن الناقد إذا لم يكن حريصًا، فإن الخسارة قد تكون أكبر من الربح، ولدينا الكثير من الأمثلة التي أدى فيها النقد غير الموزون إلى تجافي أفراد الأسرة وابتعادهم عن بعضهم، مع عدم وجود أي إصلاح للخلل.

٤

مهماتنا

٤- مهماتنا:

الدنيا دار أسباب ومشروعات ومهمات، فنحن لا نستطيع الحصول على أي شيء قيِّم من غير جهد منظّم وتعب ونصَب، ونحن جزء من مجتمع، وجزء من أمة، وإن تحقيق رؤيتنا وقيمنا في واقع الحال والوفاء بمتطلبات انتسابنا إلى مجتمع وأمة، إن كل ذلك يتطلب منا نوعًا من الوعي بالمهمات التي ينبغي أن ننجزها، والحقيقة أننا إذا قوّمنا الأسر من خلال أمانيها وتطلعاتها، فإننا سنجد أن كثيرًا من الأسر تكشف عن الكثير من النبل والعظمة، لكن هذا التقويم غير دقيق وغير واقعي، فحياة الأسر وحياة الناس لا تتغير من خلال الأمنيات والشعارات، وإنما تتغير من خلال المبادرات العملية والمشروعات الملموسة. إن الأسرة المسلمة بوصفها وحدة اجتماعية صلبة ومتماسكة مطالبة بتحسين أوضاعها الخاصة، ومطالبة - أيضًا - بالمشاركة في تحسين المُناخ العام، والوقوف في وجه الفساد، وكل ما هو شرير وسيئ، وأنا سأعرض هنا لبعض المهمات التي تنتظر أسرنا، وتتحداها، وذلك عبر المفردات التالية:

١- تأهيل الأولاد للحياة:

كل الأمور عند حدها الأدنى تكون قليلة التكاليف، ويصل الناس إليها - أحيانًا - من غير قصد ولا تخطيط، وهكذا إذا أردنا لأبنائنا أن يحيوا أي حياة كان، وأن يعملوا في المستقبل أي عمل، وأن يكون موقعهم الاجتماعي في أي مرتبة كانت، فإن المطلوب منا ليس كثيرًا، يكفي لذلك توفير الطعام والشراب والملبس والسكن، وإلحاقهم بمدرسة الحي، ولهم بعد الابتدائية أن يتجهوا إلى حيث أحبوا مع قليل من التوجيه والعناية التربوية، وبالمناسبة؛ فإن الحيوان يستطيع بما أودع اللَّـه - تعالى - فيه من غريزة أن يقدم لصغاره هذا المستوى المتدني من الرعاية والحماية إلى أن يكبروا، ويتمكنوا من حماية أنفسهم وكسب رزقهم، أما إذا كنا نريد لأبنائنا أن يعيشوا وفق مرادات اللَّـه - تعالى - صلاحًا واستقامة، وأن يكون لهم نوع من الريادة والسبق بين الأقران، ونريد لهم أن يؤسسوا أسرًا ناجحة، وأن يشاركوا في إصلاح مجتمعاتهم، فإن المطلوب منا سيكون كثيرًا بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، ولا ينبغي أن نضجر من هذا؛ لأن كثيرًا من الآباء بذلوا جهودًا مضنية من أجلنا، وسوف يفعل ذلك أبناؤنا مع أبنائهم، هذه سنة اللَّـه - تعالى - في التربية. أعتقد أن تأهيل الأبناء للحياة يتطلب التركيز على المعاني التالية:

أ- أن نشرح لهم بمناسبة وبغير مناسبة طبيعة الحياة الدنيا، وأنها دار ابتلاء، ولهذا ففيها ظالم ومظلوم، ومعتدٍ ومعتدًى عليه، كما أن هذه الحياة مبنية على أن نأخذ ونعطي، ونتأثر ونؤثر، ونفرح ونحزن، وننجح ونخفق، ونظهر أحيانًا في مظهر المتهور، وأحيانًا في مظهر الذي عنده شيء من البلادة... وكل هذا بسبب ما جبلنا اللَّه - تعالى - عليه من طباع، وبسبب السنن والنواميس التي تحكم الحياة..

أحد الآباء أخذ في يوم من الأيام يقص على أولاده الظروف الصعبة التي مر بها وهو صغير، وكان من جملة ما قاله لهم: كان أبي فقيرًا جدًّا، وكان يعمل عند الناس يومًا بيوم، وفي أيام الشتاء كان يجلس في البيت الشهر والشهرين دون أن يعمل ولو يومًا واحدًا، وقد كان هذا يجعلنا نأكل وجبتين عوضًا عن ثلاث وجبات، ولم يكن لديّ في بعض الأحيان إلا ثوب واحد، وحين يحتاج إلى غسيل كنت أجلس في المنزل حتى يجف، ولا تنتهي فترة الشتاء إلا وقد استدان أبي مبلغًا كبيرًا من المال، وفي الصيف نعيش - أيضًا - في ضيق وقلة حتى يردّ والدي المال الذي اقترضه في الشتاء... وقد لاحظ الأب أن عين إحدى بناته دمعتْ تأثرًا بما سمعتْ، أما الابن الكبير فقد قال: إذن يا أبتي كيف دخلتَ الجامعة، وأنتم في تلك الحال؟ قال الأب: الشدة يا بني لا تدوم، ويجعل اللَّه

بعد العسر يسرًا، فقد قامت العائلة بقسمة ميراث والد جدي، وقد كان نصيب أبي منه جيدًا، وقد فتح جدكم بذلك المال بقالة صغيرة، ومن ذلك اليوم أخذت أمورنا في التحسن، وزالت بحمد اللَّـه الشدة. أحد الأبناء قال: كيف تحملتم كل تلك الشدة يا أبي؟! قال الأب: كثير من أهل الحي ومن أقربائنا كانوا في وضعية مثل وضعيتنا، وكنا نجد في التعاون والتعاطف والتراحم ما يخفف عنا الكثير من المصائب، وهذا حديث يطول، ويحتاج إلى جلسة خاصة.

ب- علينا كذلك أن نشرح لأولادنا شيئًا عن طبائع الناس وعن أخلاقهم، وأن بينهم فروقًا فردية كثيرة، ومن النادر جدًّا أن نجد شخصًا يتفق مع شخص آخر في عقليته ومزاجه وأهوائه وحاجاته ومصالحه... وسيكون من المهم في هذا أن نوضح الأمور للصغار عن طريق الشرح المبسَّط، والسرد للأحداث والحكايات... حتى يستوعبوا ذلك، وأن نترك لهم الفرصة للحوار والنقاش والتساؤل.

أحد الآباء كان يتحدث مع أبنائه عن الانسجام الاجتماعي، وأن على الإنسان أن يفهم الناس بشكل جيد، وأن يساعدهم على أن يفهموه -أيضًا- على نحو جيد، وخطر في باله أن يوضِّح للصغار نقطة مهمة جدًّا، هي أن المرء مهما فعل فلن يفوز برضا كل الناس؛ لأن معايير البشر في الحكم على الأشياء ليست

واحدة، ومن ثم فلا بد للمرء أن يفعل ما يعتقد أنه صواب وحق، مع الحرص على أن لا يفهمه الناس على نحو خاطئ، ولتوضيح هذه القضية استعان بحكاية قديمة تقول: إن رجلاً خرج مع ولده ابن العاشرة في رحلة إلى القرى المجاورة، راكبين على حمار، وحين دخلا القرية كان الأب راكبًا والابن ماشيًا، فقال بعض أهل القرية: هذا الرجل ليس عنده رحمة بالصغير، وكان عليه أن يُركبه معه، ومضيا إلى قرية ثانية، وقد ركبا معًا الحمار، فقال بعض أهل القرية: مسكين هذا الحمار، فقد حُمّل فوق طاقته، وكان المفروض أن يركب أحدهما، ويمشي الآخر، ومضيا إلى القرية الثالثة، والابن راكب والأب ماشٍ على قدميه، فقال بعض أهل القرية: هذا الفتى لا يحترم أباه، إذ كيف يسمح لنفسه أن يركب وأبوه ماشٍ؟! ومضيا نحو القرية الرابعة راجلين وقد قادا الحمار خلفهما، فقال أحد أهل القرية: هذا الشخصان غبيان: كيف يكون معهما حمار ولا يركبانه؟! هنا قال الأب لأولاده: ما الذي بقي على ذلك الرجل أن يفعله؟ فقال الكبير: بقي أن يحملا الحمار - إن استطاعا -، ويمضيا به، وحينئذ سوف يُتهمان بالجنون، وضحك الجميع... قال الأب: الخلاصة يا أبنائي تكمن في حكمة قديمة تقول: « رضا الناس غاية لا تدرك ».

ج- تأهيل الأولاد للحياة هو تأهيل لهم للعيش في المستقبل،

ومع أن المستقبل غيب، لا يعلمه إلا اللّـه - تعالى - إلا أن المستقبل هو ابن الحاضر، وكثير من أوضاع المستقبل أخذت بدايتها في الظهور الآن، وأعتقد أن أهم ما ينبغي أن نوضحه في هذا السياق، هو أن المجتمع في المستقبل سيكون أقل تماسكًا، وسيكون لتحقيق المصالح الشخصية أولوية كبيرة، وحينئذ فإن على المرء أن يُعدَّ نفسه للكثير من الصعوبات، ولا يتوقع من الناس إلا القليل من العون. كل شيء في المستقبل سيكون بثمن، وعلى المرء أن يُعِدَّ نفسه للسفر والترحال وفراق الأهل والأحباب؛ لأن الفرص ستكون متحركة، وليست ثابتة في بلد بعينه، وفي المستقبل سيكون للاستقامة شأن كبير جدًّا، كما أن الفرص لنشر الدعوة - أيضًا - ستكون كبيرة. المهم دائمًا ليس أن نعرف ما الذي يمكن أن يحدث، ولكن أن نؤّهل أنفسنا للتعامل معه، وهذا الذي علينا أن نساعد أبناءنا عليه.

د- ستكون للأبناء والبنات - بإذن اللّـه - أسر في المستقبل، وسيكون لهم أولاد وبنات ومسؤوليات تربوية... وإعدادهم لكل ذلك جزء أساسي من مهماتنا. الأمهات يقمن بدور أساسي في إعداد بناتهن لأن يكنّ أمهات فاضلات، وكثيرًا ما ينجحن في ذلك الدور، لكن الزمان يتغير، ويحتاج إلى أن نعد الأبناء إعدادًا جديدًا. من المهم أن يتشكل وعي لدى فتياننا وفتياتنا بطبيعة الحياة الأسرية، وأنها تقوم على التنازل والتوافق

والتفاهم والتضحية، وليس على المشاحة والمحاصصة، كما أن العلاقة بين الزوجين تقوم على مبدأ الاختلاف، وليس التطابق، بمعنى أن على كل واحد من الزوجين أن يتعامل مع صاحبه على أساس أنه شيء مختلف عنه، ثم إن للزوج أهلًا وأرحامًا لهم عليه حقوق، وللزوجة - أيضًا - أهل وأرحام لهم عليها حقوق، كما أن هؤلاء وهؤلاء قد يتدخلون في العلاقة بين الزوجين، وحينئذ فلا بد لكل زوج أن يساعد صاحبه على أداء ما عليه من حقوق نحو أهله، وأن يتعاونا معًا من أجل حماية العلاقة بينهما من إفساد الآخرين لها.

٢- نسعى إلى أن نكون أسرة ناجحة:

الفرد أساس الأسرة المسلمة، والأسرة المسلمة أساس المجتمع المسلم، ونجاح الأسرة أكبر من نجاح الأفراد؛ لأن كثيرًا من الأسر فيها أفراد متميزون، وهذا شيء مطلوب، لكن المهم هو نجاح الأسرة بما هي أسرة، أي بالروح التي تسودها، والعلاقات التي تربط بينها، وبالإضافة التي تشكلها بالنسبة إلى المجتمع. أمة الإسلام في حاجة ماسّة إلى أكبر عدد ممكن من الناجحين أفرادًا وأسرًا؛ لأنها تعاني من الكثير الكثير من المشكلات، ومكانتها بين الأمم أقل بكثير مما تستحقه، وما يليق بها، ولعلي أشير في سياق ما نعنيه بتفوق الأسرة المسلمة إلى النقاط الآتية:

أ- التمسك بتعاليم الشريعة الغراء نصًّا وروحًا يؤدي - بإذن اللَّـه تعالى - إلى النجاح والتفوق في الحياة، تصوَّروا معي أسرة تلتزم بالواجبات الشرعية، وليس فيها مدخن ولا مدمن، ويعطف فيها الكبير على الصغير، ويحترم فيها الصغير الكبير، وتنام في وقت مبكر، ويسودها الهدوء والنظام والجدية والحرص على الوقت وحب العلم.. كيف يكون حالها؟ لا شك في أنها بتلك المواصفات والسلوكيات قد وضعت نفسها على طريق التقدم والتفوق؛ وأنا أؤمن إيمانًا مطلقًا بأن كل مظهر من مظاهر الطاعة موصول بشكل من أشكال النجاح والتفوق، كما أن كل مظهر من مظاهر المعصية موصول بشكل من أشكال الفشل والإخفاق، وهذا ميزان يمكن أن نزين به كل الأمور.

ب- تمجيد الإنجاز، والعمل الصامت، والتشجيع عليه، وإظهار الإعجاب به والمكافأة عليه...، كل ذلك من تقاليد الأسرة الناجحة. إن كل تقدم يحققه أي فرد من أفراد الأسرة المسلمة هو باعتبار ما تقدم وإنجاز للأسرة كلها، ومن ثم فإن على الأسرة كلها أن تُظهر سرورها بما يحرزه أي واحد من أفرادها، وأن تحتفل به، ونحن نعرف أن الإنسان مهما بلغت إمكاناته، ومهما تراكمت نجاحاته، ومهما كانت ثقته بنفسه عظيمة، فإنه سيظل يشعر بالحاجة إلى الثناء والتقدير، وهذا ما لا يصح أن نبخل به.

ج- حل الخلافات الأسرية من غير الحاجة إلى تدخل خارجي: هذا من مهمات الأسرة المسلمة والنجاح فيه من علامات تفوقها. كل البيوت فيها خلافات، والأسر العظيمة هي التي لا تشغل الأهل والأصدقاء، وتزعجهم بمشكلاتها الخاصة. الأبوان مطالبان بالقيام بهذه المهمة على نحو رئيس، وكذلك الأولاد الكبار، وأعتقد أن الاهتمام بما يحدث داخل الأسرة ومتابعته باستمرار كافٍ لتحقيق ذلك.

د- محاولة السكن في منطقة جيدة، وليس في هذا دعوة إلى النخبوية، ولا تلميح بالدونية لأي شيء، وإنما المقصود أن لا يسكن المرء في منطقة منهارة، فمدن الصفيح على سبيل المثال هي بيئات نموذجية لانتشار الجريمة والرذيلة والمخدرات واليأس والأمراض بكل أنواعها، وبعض المناطق يكون أهلها مصابين بما يشبه (الهوس) ببعض الأشياء السيئة، وبعضها لا يتوفر فيها الحد الأدنى من الخدمات... المهم أن ننتبه إلى شيء آخر، هو توفر المدارس والجامعات الجيدة، إذ إن المدارس الضعيفة تسيء إلى عقلية الطفل ومستقبله وخلقه، وتشوه شخصيته؛ وما زالت الأسر المهتمة من زمن قديم وإلى يومنا هذا تهاجر بأبنائها من القرى والبوادي إلى المدن الكبرى من أجل تعليمهم، وهذا عمل عظيم.

هـ- حتى تحصل الأسرة على النجاح؛ فإن عليها أن تجعل

من (الجدية) سمة عامة لتعاملها مع الأشياء، وقد أخذ اللّـه - تعالى - الميثاق على بني إسرائيل أن يأخذوا التوراة بقوة - أي بجد وعزم وهمة -، فقال - سبحانه -: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٦٣]

الجدية تعني الاهتمام بكل شيء، والتدقيق في الصغيرة والكبيرة، هذا أب سمع عن أحد أولاده أنه يمشي مع مراهقين غير جيدين، فلم يتهاون بالأمر، وإنما جلس مع ابنه، وقال له: يا بني من هم هؤلاء الذين تخرج معهم في الأسبوع مرتين وثلاث مرات؟ فقال الابن: أبناء حيِّنا، وبعضهم زملاء في المدرسة. هنا أخذ الأب يسأل عن أسمائهم وأهليهم... وأخذ يسأل عن أسر أولئك الفتيان، ويحاول معرفة انطباعات الناس عنهم، ولما عرف أنهم فعلًا سيئون، فاتح ابنه في الموضوع، واتفقا على إنهاء تلك العلاقة خلال ثلاثة أسابيع.

الجدية تعني كذلك الاستماع إلى الأبناء باهتمام، ومحاولة فهم مشكلاتهم وأشكال معاناتهم؛ لأن الطفل قد يعاني من أمور عديدة، ولا يجد أي معين له عليها؛ لأنه يستحي، أو يخاف من التحدث بها مع أبويه، ومن هنا؛ فإن على الأبوين معرفة ما يقلقه ويزعجه، ويسيء إليه، أضف إلى كل ذلك: أن من الصعب أنْ نَصِفَ أي أسرة بالجدية إذا لم تتعامل مع الوقت

كما يتعامل الشحيح مع الدينار والدرهم. الجدية في الاستفادة من الوقت تعني التفكير في أسلوب العمل الذي ينتج المرء من خلاله الإنتاج الوفير في أقصر مدة ممكنة، كما أنها تعني: تقليل أوقات اللهو والنوم إلى الحد الأدنى، أو على مقدار الحاجة الحقيقية، وتعني الجدية كذلك: ترتيب الأولويات، وعدم إنفاق الوقت في الأشياء التافهة، وتضييع الأشياء المهمة.

الأسرة التي تهتم بالوقت يساعد أفرادها بعضهم على الاستفادة من أوقاتهم من خلال التعاون والمعاونة، وسيادة روح الفريق.

و- الأسرة الناجحة في زماننا هي أسرة متعلمة وغير هذا نادر جدًّا. نحن لا نحتاج اليوم إلى أي تعليم، وإنما إلى تعليم ممتاز ليس بالمقاييس المحلية، وإنما بالمقاييس العالمية.

البداية في هذا أن يدرك الأبوان أن رأس مال الجيل الجديد هو ما لديه من معرفة متطورة، وتدريب عال، وعليهما بعد هذا أن يخططا لتوفير المال المطلوب لذلك، فالتعليم الممتاز اليوم صار عالي التكلفة، وإن كان التعليم الرديء أعظم منه تكلفة، وإنما على المدى البعيد.

وعلى الأسرة أن تساعد الأبناء على السفر والترحال في سبيل طلب العلم، وإنما أقول هذا الكلام؛ لأن هناك الكثير من الأسر التي لا تسمح لأبنائها بالسفر والغربة بسبب تعلقها

بهم، أو بسبب الخوف عليهم من الفساد. الخوف من الفساد شيء مشروع ومفهوم، ولكن لا بد من البحث عن سفر آمن بالنسبة للأبناء حتى تتسع مداركهم، ويكتسبوا المعرفة المتقدمة من مصادر ممتازة.

ز- إلى جانب التعليم في مكان جيد هناك شيء آخر، هو تشجيع الموهبة لدى الأبناء ورعايتها، وهذه مسألة في غاية الأهمية، حيث إن لدى كل طفل نقاط قوة وموهبة في شيء ما، وحين نكتشف ذلك الشيء وندعمه، ونشجعه على تنميته، فإننا بذلك نضعه على طريق العظمة - بإذن اللّـه تعالى -، ونقدم له خدمة لا تعدِلها خدمة أخرى.

كثيرًا ما يُظهر الطفل في الثالثة عشرة من عمره هواية معينة، أو ميلًا إلى مادة من المواد، أو تخصص من التخصصات، والمطلوب - حينئذ - تشجيعه، وتقديم الدعم له. وهنا شيء مهم، وهو أن المهم ليس التخصص الذي يميل إليه الفتى، وإنما موقعه في ذلك التخصص مستقبلًا، فإداري ممتاز أفضل بكثير من طبيب عادي، ومؤرخ من الطراز الرفيع أفضل من عشرة مهندسين عاديين.. وهكذا.

إذا رزق اللّـه - تعالى - الأسرة طفلًا موهوبًا، فليقرأ الأبوان كتابًا أو كتابين في أساليب رعاية الموهوبين، وليتعاونا مع أساتذته في الاهتمام به وتوجيهه، وليحاول والده جمعه مع

الأساتذة البارزين في الهواية أو الاختصاص الذي يميل إليه، فهذا يولّد لديه حافزًا إضافيًّا، ومن المهم جدًّا أن نذكر هنا أن الأسرة مطالبة بالقيام بدورها ودور المدرسة في اكتشاف مواهب الأبناء وتنميتها، وذلك لأن معظم المدارس لدينا لا تقوم بهذا الدور؛ مع الأسف الشديد!

٣- تدبير الشأن الداخلي بكفاءة:

مهمتنا الكبرى في هذه الحياة هي القيام بأمر اللّـه ﷻ، وإسداء المعروف للناس، ونشر الخير في الأرض، ونحن نحتاج من أجل القيام بهذه المهمات النبيلة والعظيمة إلى أن ندبر شؤون عيشنا، وأن نرتبها على نحو جيد. الإنسان حين يكون جائعًا، أو مجهَدًا، أو مطاردًا من قبل الغارمين والدائنين، أو حائرًا في التعامل مع التحديات التي تحيط به... إنه في هذه الأحوال وأشباهها لا يؤدي عباداته بطمأنينة وهدوء وتوجه صادق إلى اللّـه - تعالى -، كما أنه لا يستطيع المشاركة في الأنشطة الخيرية العامة، ولا يستطيع صلة رحمه وحل مشكلات أقربائه وجيرانه وزملائه. إن الأسرة حين لا تتمكن من حل مشكلاتها الداخلية، فإنها تتحول هي نفسها إلى مشكل اجتماعي، ومن هنا؛ فإن من الأمور المهمة في مسار الأسرة المسلمة: حسن تدبيرها لشؤون معيشتها المادية على نحو أخص، ولعل من الأساسيات في ذلك الآتي:

أ- إن أرزاق العباد مقسومة ومقدَّرة، ومن ثم فإن عليهم أن يسعوا إليها وهم واثقون بأنهم لن ينالوا إلا ما كتبه اللَّـه - تعالى -، وهذا ينبغي أن يدعونا إلى الحرص على الكسب الحلال، ومحاولة البعد عن المشتبهات في مصادر التمول والارتزاق قدر الإمكان، وقد ورد في الحديث الصحيح: أن رسول اللَّـه ﷺ قال: « إن روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فاتقوا اللَّـه وأجملوا في الطلب، ولا يحملنّ أحدَكم استبطاءُ الرزق أن يطلبه بمعصية اللَّـه، فإن اللَّـه - تعالى - لا يُنال ما عنده إلا بطاعته ».

ب- نحن وكل ما نملك مملوكون للَّـه - تعالى -، وينبغي أن نتصرف فيه وفق مراده - تعالى - وأحكام شريعته، وكما أن الواحد منا لا يحل له أن يقطع يده ويلقيها، كذلك لا يصح له أن يُسرف ويبذر في إنفاق المال، ويكفي في ذم المبذرين قول اللَّـه - تعالى -: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٧]

إننا حين ندخل في باب المباهاة، وتلبية الرغبات، والجري خلف الشهوات، فإننا نكون قد فتحنا أفواهًا لا تعرف الشبع أو الارتواء، وقد صدق من قال: ما في الأرض من خيرات كافٍ لقضاء حاجات كل الناس، لكنه غير كافٍ لإشباع رغبات رجل واحد!

على الأم أن يكون لها دور حيوي في منع التبذير والإسراف، وفي الاقتصاد في الإنفاق، وحث الزوج على أن لا يشتري إلا ما تحتاجه الأسرة فعلًا، وفي حدود إمكاناتها.

ج- الأسرة المسلمة تنظر إلى العمل من أجل كسب الرزق على أنه عبادة وقربة إلى اللّٰـه - تعالى -، ولا بد طبعًا من أن يكون العمل مشروعًا، وأن تُلتزم فيه حدود اللّٰـه - تعالى -، فيكون خاليًا من الغش والخيانة، إلى جانب محاولة تأدية العمل بإتقان وإحسان، بالإضافة إلى الاحتراز من أن يشغل العمل الدنيوي الواحدَ منا عن تأدية واجباته الدينية، ومن هنا؛ فإن على الأبوين تربية أبنائهم على حب العمل واحترامه، والنظر إلى العطالة والبطالة على أنهما بقع سوداء في حياة المسلم، وعليهما أن يساعدا الأولاد على الحصول على عمل في إجازات المدارس والجامعات كي يكسبوا المال، ويتعلموا القيام ببعض الأعمال النافعة.

وكم هو جدير بنا أن نستذكر دائمًا قوله ﷺ: « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ ».

د- الصدقة والبر وصلة الرحم باب من أبواب الرزق، وحين نقع في شدة، فإننا نرجو من اللّٰـه أن يفرّج عنا، ويوسّع علينا من خلال البذل والصدقة.

هـ- نسعى إلى أن يكون لدينا فائض من المال، حيث إننا

إذا نظرنا إلى المشكلات التي يولّدها الغنى، والمشكلات التي يولدها الفقر، فإننا سنجد أن مشكلات الفقر أكثر بكثير من مشكلات الغنى، ويكفي من ذلك: إراقة ماء الوجه بالسؤال، والحاجة إلى الناس، والتطلع إلى ما في أيديهم وحسدهم، والشعور بالضعف والانحسار، وانتظار المساعدة من الآخرين، والعجز عن القيام بالمشروعات الخيرية، ومساعدة الفقراء.

إن الغنيّ مبتلى، والفقير مبتلى، وخيرهما أتقاهما للّه، وأحسنهما تصرفًا تجاه ما ابتلي به، وإن أمة الإسلام يغلب عليها الفقر، وإذا أرادت أن تشيد المؤسسات التعليمية والصناعية الكبرى، فإنها تحتاج إلى المال، ومن أين يأتي المال إذا كان معظم الناس فقراء؟

وفي سبيل تحسين الدخل؛ فإننا نحاول أن نترقى في وظائفنا، وأن نحصل على عمل إضافي عند الحاجة، ونحاول أن نبدع ونخترع لنحصل على المال، ولا نقترض من أجل شراء أشياء كمالية، وندَّخر جزءًا من دخلنا للطوارئ حتى لا نحتاج إلى الناس، ونعمل في اقتناء الأشياء بالقاعدة الذهبية: (استغناؤك عن الشيء خير من استغنائك به)، فإذا كنا نكتفي بمكتب واحد، فإننا لا نشتري مكتبين، وإذا كنا في حاجة إلى خمس غرف لا نبني بيتًا من سبع غرف.

و- نؤثِر المنتجات الوطنية بالاستهلاك - ولو كانت أقل جودة - على المنتجات المستوردة، من أجل تنمية تلك المنتجات ودعمها، ومن أجل إبقاء رأس المال الوطني داخل البلاد، كما أننا نؤثر السياحة في الداخل وفي الدول الإسلامية للغرض نفسه.

ز- نحاول أن تظل أوزاننا في نطاق الاعتدال، ونحارب السمنة، ونختار أغذيتنا باهتمام وبمعايير طبية، ويحاول كل فرد من أفراد أسرتنا أن يقوم عن الطعام ونفسه تشتهيه، حتى لا يُصاب بالتخمة.

ح- يمارس كل فرد من أفراد الأسرة الرياضة التي تناسبه، ونتعاون في هذا الأمر.

ط- إذا فقد الواحد منا عمله؛ فإنه لا يجلس في المنزل، وإنما يعمل على ترقية معلوماته ومهاراته، أو يلتحق بعمل مؤقت إلى أن يحصل على العمل الذي يناسبه.

ي- نبتعد عن تناول المهدئات والمنشطات، ونقاوم الإدمان بكل أشكاله، ونحاول أن نعيش حياة طيبة، وأن نستهلك منتجات طبيعية.

ك- الأخلاق والعلاقات الحسنة مصدر عظيم للسرور والسعادة، وهي باب من أبواب الرزق، وإن الخُلق الحسن مما تثقل به الموازين يوم القيامة، ولهذا فإننا نتخلّق بأخلاق الإسلام في علاقاتنا مع الناس.

هذه إشارات سريعة إلى الأمور التي تساعدنا على تدبير شؤوننا المعيشية، وأنصح بقراءة بعض الكتب التي تُعمِّق معرفة الأسرة بهذه الأمور وما شابهها.

٤- الفائض الأسري:

حين تنظم الأسرة المسلمة شؤونها على نحو جيد، وحين تنجح في التغلب على معظم مشكلات الحياة وتحدياتها؛ فإنها ستجد أنها تملك فائضًا من الوقت والجهد والمال والفكر والرأي والعلم.. كي تسهم به في ارتقاء المجتمع ونفع العباد، وتسهم في حل بعض المشكلات التي يعاني منها المسلمون من حولها.

دعوني أتحدث بصراحة هنا، حيث إنني أشعر أن الأسر الإسلامية - إلا من رحم ربك - في شغل عن هذا الأمر، فحسّ المساهمة في الإصلاح، وفي تنوير المجتمع ومساعدته على التحسن، هذا الحسّ شبه معدوم، مع أن نية المسلم تنطوي على الخير غالبًا، إلا أن الأمر على مستوى التربية الأسرية، وعلى مستوى التحرك الميداني سيِّئ جدًّا، ولهذا فإن الحديث فيه مستغرَب لدى جميع الناس، أو هو مثالي وكمالي وغير عملي! وهذا يعود بالطبع إلى ضعف التربية الاجتماعية في بيوتنا؛ لأننا ونحن نربي نركز تركيزًا متطرفًا على مصلحة الصغار، ومصلحة الأسرة، ولهذا فإن حسّ

الإحسان والمساعدة والمعاونة والمساهمة الاجتماعية يكون في الغالب ضعيفًا للغاية، مع أن العمل التطوعي بكل فنونه يشكِّل مصدرًا لإغناء المشاعر بالرضا والرفاهية، وهو إلى جانب هذا وسيلة لتهذيب النفوس من الأنانية والحرص المبالغ فيه على المنفعة الذاتية.

صور لتوظيف الفائض الأسري:

١- العمل المستمر على إدخال السرور على الناس:

إن الإيمان يدفع المسلم دفعًا إلى حب الخير للناس وتلبية احتياجاتهم، وإن إحساس الإنسان بالأمن والتعاطف، وانشراح الصدر، واهتمام الآخرين به، من جملة احتياجاته الأساسية.

والحقيقة أن السرور ينبعث ويستيقظ في قلوبنا بأبسط الأسباب، وقد كانت إحدى الأمهات تقول لأبنائها: إذا استطعتم أن تجعلوا من تلتقون به يضحك أو يشعر بالأهمية، أو يشعر بأن الدنيا ما زالت بخير، فلا تتوقفوا، وكانت تشرح لهم ما تريد بأمثلة واضحة وقريبة: إذا كان الواحد منكم يا أولادي يدخل إلى المسجد، ووراءه شخص، فليمسك الباب بيده حتى يدخل ذلك الشخص، وإذا أراد الخروج من منزل أو مسجد، وكان إلى جانبه شخص؛ فليقدمه على نفسه بالخروج، وإذا رأى شخصًا يعاني من حمل شيء أو معالجة

شيء، فليساعد في ذلك... هكذا ينبغي أن تكون الأمهات! وقد ذكروا أن عبد اللَّـه بن عمر - رضي اللَّـه عنهما - كان يخرج إلى السوق وليس في نيته شراء شيء، وإنما التسليم على الناس، والسؤال عن أحوالهم، إنه يستخدم بعض فوائض وقته في التعبير عن اهتمامه بأهل السوق، وإدخال السرور عليهم.

٢- النصح للمسلمين، سواء أكانوا كبارًا أم صغارًا، مجال مهم لتوظيف الفائض الأسري:

إن النصح يشمل الدلالة على الخير، وبذل الرأي والمشورة لمن يطلب ذلك، كما يشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إنه لشيء عظيم ورائع أن يشعر المسلم أنه لا يقف وحيدًا في مواجهة المشكلات، وإنما هناك من يعينه ويسدده، ولأهمية هذا الأمر كان رسول اللَّـه ﷺ يبايع بعض أصحابه عليه على نحو ما روي عن جرير بن عبد اللَّـه البَجَلي، قال: « بايعت رسول اللَّـه ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم » [أخرجه البخاري ومسلم].

وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « حق المؤمن على المؤمن ست... »؛ فذكر منها: « وإذا استنصحك؛ فانصح له » [أخرجه مسلم]. الأطفال كثيرًا ما يستشير بعضهم بعضًا في شؤون المذاكرة والامتحانات، وشراء بعض الملابس،

وأدوات الزينة، كما أنهم كثيرًا ما يلاحظون على بعضهم بعض السلوكيات غير اللائقة، والمطلوب دائمًا هو إسداء النصيحة، والدلالة على ما هو أحسن وأخير.

الأطفال يتشربون هذا المعنى - وكل المعاني - من مشاهداتهم لسلوك الأبوين ومن مواقفهما، والذي يحدث في أحيان كثيرة شيء معاكس لما نقوله: هذه فتاة تقول لوالدها: زميلتي فلانة نجحت وكان ترتيبها الأول، فيقول الأب معرّضًا بابنته: هكذا النجاح وإلا فلا. وهنا تلجأ البنت إلى التقليل من شأن نجاح زميلتها، أو تقول: أنا التي ساعدتها على ذلك، أو تنظر إليها بعين الحسد، وقد تحقد عليها... وقد كان على الأب أن يقول: ما شاء اللَّه! هذا شي عظيم، وأنت الحمد للَّه - أيضًا - مجتهدة ومتفوقة، وإن شاء اللَّه يكون فيك وفيها الخير والبركة للمسلمين.

٣- تستطيع كل أسرة - لو شاءت - أن تدخر شيئًا من دخلها للمساهمة في مساعدة أسر أخرى، أو كفالة يتيم، أو إنشاء مرفق من المرافق...

إن ادخار ٢٪ (أي عشرين ريال من كل ألف) من مصروف الأسرة ممكن دائمًا؛ لأنه مبلغ ضئيل جدًّا، لا يؤثر في وضعية أي أسرة، ومهما ظنت الأسرة أن وضعها صعب، فإن بين الأسر المسلمة أسرًا أحوج منها وأشد فاقة، ولا سيما

الأسر في البلاد المحتلة والمحاصرة، وتلك التي تعاني من الحروب الأهلية والجفاف والقحط.

بعض الأسر تُعرض عن إنفاق أي مال يومًا واحدًا في الشهر؛ لتدخر مصروفه للمساهمة في كفالة أرملة أو يتيم، وبعض الأطفال الصغار يدخرون ١٠٪ من مصروفهم الشهري لشراء بعض الألعاب وإهدائها للأطفال الفقراء، وبعض الأسر اتفق أفرادها على الاشتراك في تمويل حفر بئر ماء في بعض المناطق التي تعاني من الجفاف... أشياء كثيرة جميلة نراها هنا وهناك، لكن الأسر التي تفعلها محدودة جدًّا، وإن علينا أن نعمّم هذه الثقافة بكل وسيلة ممكنة، وأود أن أشير هنا إلى أمر مهم: هو أن هذه الأعمال الخيرة المباركة هي جزء من شكرنا للّـه ﷻ على ما متعنا به من نعم، وهي زكاة عن صحتنا وسلامة أعضائنا على نحو ما نجده في قوله ﷺ « على كل مسلم صدقة »، قال: أرأيت إن لم يجد؟ قال: « يعمل بيده، فينفع نفسه ويتصدق »، قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: « يعين ذا الحاجة الملهوف »، قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: « يأمر بالمعروف أو الخير »، قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: «يمسك عن الشر؛ فإنها صدقة ». [متفق عليه].

إنها دعوة صريحة إلى المساهمة في أعمال البر المختلفة، وهذه المساهمة المطلوبة مأجورة من اللّـه - تعالى - مشكورة.

هذا ما أحببت أن أقدمه للإخوة القراء حول مسار الأسرة المسلمة، مع إيثاري للاقتصاد والإيجاز قدر الإمكان، وإني لأسأل اللَّـه - تعالى - أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن، وأن ينفع به الآباء والأمهات، إنه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّـه رب العالمين.

فهرس الموضوعات:

مقدمة ٥

١) رؤيتنا: ٨

١- أسرة مرجعيتها الإسلام ١١

٢- كل المكاسب والخسائر في هذه الدنيا مؤقتة ١٣

٣- كل محرّم موصول بشكل من أشكال الضرر ١٥

٤- مصلحة أسرتنا هي عين مصلحة أمتنا ١٧

٥- لدى أطفالنا أمور كثيرة لا يُنضِجها إلا الزمن ١٨

٦- نحسّن الوعي بأنفسنا عن طريق المقارنة بنظرائنا ... ١٩

٧- نعرف أن زماننا صعب، ولذلك نُعِدّ له أطفالنا
على نحو أفضل ٢١

٨- معظم التحديات التي تواجه أسرنا داخلية ٢٢

٩- نؤمن أن المستقبل الجيد لا يولد من واقع رديء ٢٥

١٠- نحاول معرفة الفرق بين ما هو كائن
وما ينبغي أن يكون ٢٦

١١- التفسيرات الخاطئة هي أكبر مصادر التضليل ٢٩

٢) قيمنا: ٣٢

١- ننوي الخير، ونحرص على نقاء سرائرنا ٣٧

٢- التطوع هو مصدر رفاهيتنا الروحية ٤٠
٣- المروءة وسمو الذات ٤٣
٤- نتحرى الصدق في كلامنا ٤٦
٥- نحرص على الكسب المشروع ٤٩
٦- لا نساوم على مبادئنا ولا على كرامتنا ٥١
٧- لا نصبر على الظلم ٥٣
٨- نحترم النظام ٥٨
٩- نرتقي بلغتنا ٥٩
٣) علاقاتنا: ٦٤
١- علاقتنا مع من حولنا فرع عن علاقتنا بخالقنا ٦٦
٢- لا نتوقع من بعضنا الكثير ٦٧
٣- نعترف بأخطائنا، ونعتذر عنها ٦٩
٤- أساس الأسرة زوجان متحابان ٧٠
٥- التسامح استدراك على القصور ٧٢
٦- نتعامل ونتصرف في ظل الاعتقاد
بوجود الوفرة والرخاء ٧٤
٧- الاحترام المتبادل يولد لدى أطفال الأسرة
حساسية إيجابية نحو الناس جميعًا ٧٦
٨- الاشتراك في العبادة والتعلم ٧٨
٩- نمارس النقد في إطار المحبة ٧٩

٤) مهماتنا: ٨٢
١-تأهيل الأولاد للحياة.............................. ٨٤
٢-نسعى إلى أن نكون أسرة ناجحة.................... ٨٩
٣-تدبير الشأن الداخلي بكفاءة........................ ٩٥
٤-الفائض الأسري..................................... ١٠٠
صور لتوظيف الفائض الأسري......................... ١٠١
الخاتمة ١٠٥

رقم الإيداع
٢٠٠٩/١٠٥٥٦

الترقيم الدولي I. S. B. N
977-342-750-1

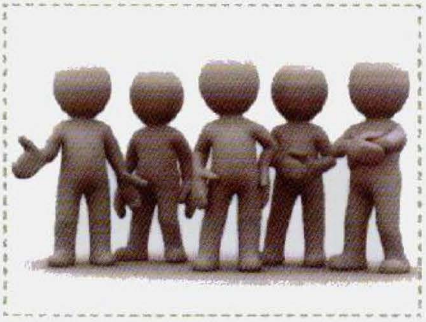

مسار الأسرة

رأيت تخصيص هذا الجزء للكلام عن مجموعة المبادئ والقيم والمفاهيم التي تجسد خارطة السير للأسرة المسلمة، وترسم ملامح اتجاهها في هذه الحياة على مستوى الرؤية والأخلاق والسلوك والعلاقات والاهتمامات... وأعتقد أن وضوح الاتجاه والمسار يشكل شيئًا في غاية الأهمية لاستقامة حياة الأسرة ونجاحها، كما يشكل شيئًا مهمًّا في تحديد الأساليب والتقنيات التي ينبغي أن يتبعها الأبوان في تربية الأبناء.

وإني أشعر أننا نعاني اليوم من ارتباك شديد على المستوى الأسري والاجتماعي في التعامل مع الوافدات الثقافية الجديدة، والمشكلة في الحقيقة تجاوزت حد الارتباك إلى المعاناة من شيء من الانقسام الاجتماعي حول كثير من العادات والتقاليد التي كانت موضع اعتبار.

نحن نعاني من أمية واسعة، ويعاني كثير من المسلمين من الفقر والبطالة، كما أن معظمهم يعملون في أعمال بدنية مجهدة، وهذا كله يُضعف اهتماماتهم بتخطيط حياتهم الأسرية، والتخطيط لجهودهم التربوية، ومستقبل أبنائهم، لكن مع كل هذا؛ فإن علينا أن نستمر في التوعية والكتابة والتحدث؛ لأنه ليس أمامنا أي خيار آخر.

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية

هاتف: ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٤٠٥٤٦٤٢

فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (+٢٠٢)

الإسكندرية - هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (+٢٠٣)

www.dar-alsalam.com info@dar-alsalam.com

ISBN: 977-342-750-1

9 789773 427504